الاتجاه البنيوي بين اللسانيات الغربية والفكر اللغوي العربي

أ.م.د. صدّام حمّو حمزة

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة كركوك

The Structural Direction between Western Linguistics and Arabic Linguistic Thought

Ass. Prof. Dr. Saddam Hamo Hamza
College of Education for Human Sciences\ University of Kirkuk
shh742008@yahoo.com

Abstract

The Arab linguistic heritage is a rich heritage, left by the ancient scholars of successive generations, from which it is today, without losing its value or draining its gifts. Our scholars have made great efforts in studying Arabic. Because the most common concepts they came to meet very much with the tributaries of contemporary linguistics, and this research is only an attempt to drop a part of the linguistic concepts on the efforts of the old Arabs in order to reach the fact that the ancient Arab heritage is full of Bakthi But the Westerners themselves, like Chomsky, emphasized the need to return to the ancient heritage for rapprochement. Between some of its neglected aspects and modern concepts.
Keywords: Benioui, Linguistics, West, Thought, Language, Arabic.

الملخص

يعد التراث اللغوي العربي إرثا ثرّا، تركه العلماء القدماء للأجيال المتلاحقة، ينهلون منه الى اليوم دون ان يفقد قيمته او ان ينضب عطاؤه، لقد بذل علماؤنا رحمهم الله جهدا كبيرا في دراسة اللغة العربية، واجتهدوا في جمع اصولها ولمِّ شتاتها واستنباط أحكامها وقدموا ملاحظات قيّمة حول قضاياها وكانوا بتلك الآراء سابقين لزمانهم بقرون، لأن اكثر المفاهيم التي أتوا بها تلتقي الى حد كبير مع روافد اللسانيات المعاصرة، وما هذا البحث إلا محاولة لإسقاط جانب من المفاهيم اللسانية على جهود القدامى العرب بغية الوصول إلى حقيقة مفادها أن التراث العربي القديم مليء بكثير من المفاهيم اللسانية التي سبق فيها القدماء من اللغويين العرب الغربيين بشكل واضح ومنهجي؛ على ان قضية العودة إلى التراث القديم لتتبع المفاهيم المعاصرة فيه ليس بدعا على هذا البحث بل ان الغربيين انفسهم من امثال تشومسكي قد اكدوا على ضرورة العودة الى التراث القديم من اجل التقارب بين بعض جوانبه المهملة وبين المفاهيم الحديثة.
الكلمات المفتاحية: بنيوي، اللسانيات، الغرب، الفكر ، اللغة، العربية.

المقدمة

ويمكن التعليل لسبب اختيار البنيوية دون غيرها من الراوفد اللسانية المعاصرة مادة للبحث بأن اغلب المفاهيم التي طرحها رائد البنيوية ديسوسير قد سبقه اليها العلماء العرب بقرون اذ يتضح للباحث عن المفاهيم البنيوية في الفكر اللغوي العربي أن التركيز على نظامية اللغة أمر مهد لمعرفته القدماء من اللغويين العرب وقطعوا فيها شوطاً، حتى إن المرء ليحسّ أن المحدثين من الوصفيين لم يزيدوا شيئاً كثيراً عما ورد عند القدماء من امثال الجاحظ الذي رأى أن النظم هو ما وافق اللفظ لمعناه، وتآلف الألفاظ، وحسن تنظيمها كأنها لفظ واحد، وكالتفريق بين اللغة واللسان واللغة والكلام، فقد فرق دي سوسير بين اللغة واللسان واللغة والكلام، وعدَّ اللسان مختلفاً عن اللغة، ونجد الجرجاني قد سبقه اليه ففرّق بين اللغة والكلام فجعل اللغة في الجانب النظري، وجعل الكلام في الجانب التطبيقي، وأطلق على الأول (علم اللغة)، وعلى الثاني (الوضع اللغوي)

كما نجد اشارات واضحة في التراث اللغوي إلى موضوع العلامات والسيمياء، وأنه لا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه، وهذه الفكرة هي التي تبناها سوسير في ثنائية الدال والمدلول، ووافق سوسير الجرجاني بأن ما

يلفظه الفرد (الكلام) هو الذي يقع فيه الاختلاف، بينما اللغة ثابتة. ولكن دي سوسير جعل اللغة اساس الدراسة اللغوية، فيى حين لن عبد القاهر الجرجاني لم يتخذ هذه السبيل منهجاً له؛ وذلك لأن هدفه ليس وصف اللغة ولا الوقوف على اللغة المنطوقة، وانما كان هدفه الاول الوقوف على روعة كلام الله واعجازه، ولذلك اختلف منهج الرجلين لاختلاف هدفهما، فالأول كان يهدف الى دراسة اللغة لذاتها، وانما الثاني يهدف الى اظهار روعة القران واعجازه، والمتأمل في التراث اللغوي العربي يتبين له ان الدراسات العربية بدأت وصفية، تقوم على جمع المادة اللغوية ووصفها، ثم ملاحظة المادة المجموعة واستقرائها، والخروج بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوي السليم هذه هي الخطوات نفسها التي دعا اليها دي سوسير وتأثر، وكذلك نجد تشابهاً بين المنهج البنيوي عند دي سوسير والجرجاني فإن كليهما يقران بأن اللفظة المفردة لا تستحق ذلك المزية والأهمية لذاتها، إلا إذا وضعناها في موضعها المناسب مرتبطة بالعناصر الأخرى المناسبة لموقعها في التركيب، وهذه الأمثلة تدلل بوضوح مدى التقارب بين الفكر اللغوي العربي وبين اللسانية البنيوية الغربية مما يدفعنا للاعتزاز بهذا الإرث اللغوي الباهر.

والبحث يقع في مبحثين يسبقهما تمهيد يعرض لمفهوم البنيوية، ويتناول المبحث الأول الاتجاه البنيوي في الفكر اللساني الغربي، ويتناول المبحث الثاني الاتجاه البنيوي في الفكر اللغوي العربي وضم محاور ثلاثة الاول أصول البنيوية في التراث اللغوي العربي, والثاني البنيوية عند اللغويين العرب المحدثين, ثم ينتهي البحث بخاتمة تعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

توطئة

قبل الشروع في الحديث عن البنيوية كتيار فكري ظهر ليتجاوز النزعة التاريخية والفلسفات التي تعتمد الذات كخلفية مثل: الوجودية، لا بد من تحديد مصطلح البنية لغة واصطلاحاً.

أولاً/ الدلالة اللُغوية لكلمة بنيوية:

اشتقت كلمة البنيوية من الفعلِ الثلاثيِّ[1] (بنى، يبني، بناء، وبنية)، والبنية تُعني البناءَ أو الطريقةَ، وكذلك تدلُّ على معنى التشييدِ والعمارةِ والكيفيةِ التي يكون عليها البناءُ، أو الكيفيةُ التي شُيّد عليها[2]. جاء في لسان العرب: البِناءُ: المَبْنيُّ، وَالْجَمْعُ أَبْنِيَةٌ، وأَبْنِيَاتٌ جمعُ الْجَمْعِ، والبَنَّاءُ: مُدَبِّرُ البُنْيان وَصَانِعُهُ، والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ: مَا بَنَيْتَهُ، وَهُوَ البِنَى والبُنَى، و يُقَالُ بِنْيَةٌ، وَهِيَ مِثْلُ رِشْوَةٍ ورِشاً كَأَنَّ البِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا مِثْلَ المِشْيَة والرِّكْبِة. وبَنَى فلانٌ بَيتاً بِنَاءً وبَنَّى، مَقْصُورًا، شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ. وابْتَنَى دَارًا وبَنَى بِمَعْنًى. والبُنْيَانُ: الحائطُ. الْجَوْهَرِيُّ: والبُنَى، بِالضَّمِّ مَقْصُورٌ، مِثْلَ البِنَى. يُقَالُ: بُنْيَةٌ وبُنًى وبِنْيَةٌ وبِنًى، بِكَسْرِ الْبَاءِ مَقْصُورٌ، مِثْلَ جِزْيةٍ وجِزًى، وَفُلَانٌ صَحِيحُ البِنْيَةِ أَي الفِطْرَة[3].فكلمة البنية في اللغة العربية تعني: "كل ما هو أصل فيه وجوهري، وثابت لا يتبدل بتبديل الأوضاع والكيفيات"[4].

وأما في اللغات الأوربية فإن "كلمة structure اشتقت من الفعل اللاتيني struer بمعنى يبني أو يشيد وحين يكون للشيء بنية)في اللغات الأوروبية) فإن معنى هذا أولاً وقبل كل شيء، أنه ليس شيء غير منتظم وعديم الشكلAmorphe، بل هو موضوع منتظم له صورته الخاصة ووحدته الذاتية"[5]. وقيل الدلالة اللغوية لكلمة structureهي البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، ولا يبتعد هذا كثيراً عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي القديم للدلالة على التشييد والبناء والتركيب[6].

1- ينظر: العين، الفراهيدي: 90.
2- ينظر: لسان العرب، ابن منظور: 3/ 244.
3- ينظر: المصدر نفسه14/ 94.
4- المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية)، مصطفى السعدني: 175.
5- مشكلة البنية، زكريا إبراهيم: 29.
6- ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل: 120.

نستخلص من التعريفات السابقة أن "معنى البنية هو الشكل أو الهيئة، ومعنى البنيوية تعني البنية المركبة المنظمة"[1].

ثانيًا/ الدلالة الاصطلاحية:

إذا انتقلنا إلى المفهوم الاصطلاحي لكلمة البنية، نجد صعوبة الوقوف على تعريف شامل للبنيوية، فقد عرفها كثير من علماء اللغة الغربيين والعرب بتعريفات مختلفة، منها ما كان شاملاً، ومنها مالم يكن شاملاً[2]. فقد عرفها اللغوي لالاند بأنها "كل مكون من ظواهر متماسكة، أو متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل"[3].

ويقدم جان بياجيه تعريفاً شاملاً للبنية بوصفها نسقاً من التحولات يحتوي على قوانينه الخاصة، علماً بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائماً ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحويلات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تستعين بعناصر خارجية، وبإيجاز فالبنية تتألف من ثلاث خصائص هـي: الكـلية والتحولات وبالضبط الذاتي[4].

يتضمن هذا التعريف جملة من السمات المميزة، فالبنية أولاً نسق من التحولات الداخلية، ثانياً لا يحتاج هذا النسق لأي عنصر خارجي فهو يتطور ويتوسع من الداخل، مما يضمن للبنية استقلالاً ويسمح للباحث بتعقل هذه البنية.

وإن خاصية الكلية تبرز أن البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل هي تتكون من عناصر خارجية خاضعة للقوانين المتميزة للنسق وليس المهم في النسق العنصر أو الكل بل العلاقات القائمة بين العناصر.

أما خاصية التحولات فإنها توضح القانون الداخلي للتغيرات داخل البنية التي لا يمكن أن تظل في حالة ثبات لأنها دائمة التحول.

وأما خاصية التنظيم الذاتي فإنها تمكن البنية من تنظيم نفسها بنفسها كي تحافظ على وحدتها واستمراريتها. وذلك بخضوعها لقوانين الكل[5].

وقيل إن البنيوية هي مجموعة مركبة من العناصر المتماسكة، والمتداخلة فيما بينها، بحيث تُلغى فكرة التفرّد؛ بل يتوقّف كل عنصر على بقية العناصر الأخرى، ومدى علاقته بها؛ فتكون البنيوية عبارة عن دراسة العلاقات بين البنى المختلفة في النص الأدبي[6].

نستخلص مما سبق أن البنيوية تقوم على أساس نظري مؤداه أن البنية تتألف من عناصر ومكونات جزئية، وأن أي تغير يطرأ على أي واحد من هده المكونات لا بد أن يؤثر في سائر المكونات والعناصر الأخرى"[7].

---

[1]- دراسة خصائص البنيوية بين القدماء والمحدثين من علماء اللغة: عبد الرسول عليان: 19.
[2]- ينظر: أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية، الفرجاني: 6.
[3]- البنيوية في الفكر الفلسفي، عمر مهيبل: 16.
[4]- ينظر: البنيوية، جان بياجه: 8.
[5]- ينظر: البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، وردة عبد العظيم: 29.
[6]- ينظر: نظرية البنائية: 120-121.
[7]- دراسة خصائص البنيوية بين القدماء والمحدثين: 24.

المبحث الأول

الاتجاه البنيوي في الفكر اللساني الغربي

أولاً/ نشأة البنيوية:

ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها العالم اللغوي السويسري فردينان دي سوسير[1]؛ إذ يعد دي سوسير بحق الرائد الأول للبنيوية (Stracture)، وأول من أسس المنهج البنيوي، بفضل منحاه في دراسة اللغة دراسة علمية، إذ نظر إلى اللغة على أنها نسق أو نظام متماسك تنطوي على شبكة من العلاقات المتبادلة بين مختلف عناصرها وفق مستويات التحليل اللغوي، ولا يمكن وصف الظاهرة اللغوية دون التطرق إلى بنية الجوانب الأخرى[2]؛ أي إنه لم يدرس اللغة على أنها مجموعة كلمات، وإنما درسها على أساس أن اللغة تتكون من مجموعة عناصر تربطها علاقات، وهذه العلاقة لا تمنح العناصر معنى في ذاتها وإنما معناها في ارتباطها ببعضها، لذا فإن أي تغيير يصيب عنصراً منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله[3].

وهكذا عدّ دي سوسير الأب الحقيقي للبنيوية، ولكننا لو فتشنا عن أصول أفكار دي سوسير أو المبادئ التي بنى عليها نظريته، لوجدنا أن الجذور البنيوية الأولى بعيدة تكاد تمتد في عمق التاريخ لتصل أطرافها بفكر أرسطو[4].

كما أن البنيوية قد ظهرت في الأفكار والتصورات التي عبر عنها ويتني بكيفيات غير مباشرة، ولا سيما ما يتعلق بوجود النظام والتركيب الذي يخالف مجموعة العناصر الجزئية المكونة للكل، وهده الفكرة تبناها دي سوسير وهو يتحدث عن مبدأ التناسق وخضوع عناصر المجموعة لنظام العلاقات[5].

وقيل إن همبولدت قد أكد قبل دي سوسير بأنه لا يمكن أن نقبل بالتصور الذي يرى أصل اللسان مرتبطاً بتعيين الأشياء من خلال الكلمات، ولا ذاك الذي يرى فيه سلسلة من الكلمات. بل أن الخطاب ليس مصنوعاً من الكلمات السابقة عليه: إن أصل الكلمات موجودة في الخطاب ذاته[6].

يتبين لنا مما ذكر أن الأفكار العامة للبنيوية كانت معروفة قبل دي سوسير إلا أن دي سوسير هو الذي وفر لها الحقل الدي تنمو فيه، فألهم معاصريه، حتى عد أبرز الذين أكدوا على فكرة البنية [7].

فقد ساهم في تأسيس البنيوية من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبته في جامعة جنيف[8]. وإن لم يستعمل أبداً لفظة "بنية"، وإنما استعمل (نظام أو نسق) عوضاً عنها[9]؛ لأن نظرته الكلية إلى اللغة ونبذه النظرة الجزئية للعناصر المنفصلة عن بعضها[10]. وإلحاحه على نظامية الاستعمال اللغوي، قد دفعته إلى تسمية ما سماه خلفه (بنية) (نظاماً)[11]، وأن آراءه في التفرقة بين اللغة والكلام، والوصفية والتاريخية، والدال والمدلول، وفي نظرته للغة، وفي أولوية النسق أو النظام على باقي عناصر الأسلوب[12]، هي أساس نشأة الدراسات البنيوية.

---

[1]- ينظر: مشكلة البنية: 43.
[2]- ينظر: الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة، لمسن بلبشير: 10.
[3])- ينظر: مدخل إلى المدارس اللسانية، السعيد شنوقة: 46.
[4]- ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة، هدى صلاح: 131.
[5]- ينظر: : المصدر نفسه.
[6]- ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، أمبرتو إيكو: 116.
[7]- ينظر: المنهج البنيوي: جذوره الغربية، إيمان بن طلاع، ونورة درناوي: 17.
[8]- ينظر: نظرية البنائية: 19
[9]- ينظر: البنيوية، مؤيد عباس حسن: 5.
[10]- ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة: 130.
[11]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، يوسف وغليسي: 265.
[12]- ينظر: أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية: 8.

ثانياً/ الروافد الأولى للبنيوية:

ابتداءً لم تنبثق البنيوية في الفكر اللغوي والأدبي وفي الدراسات الإنسانية فجأة، وإنما تعود الرّوافد التاريخية الأولى للبنيوية إلى عدّة مدارس والاتجاهات المتباينة التي أسهمت بشكل كبير في بلورة الفكر البنيوي والنهوض به، ومن أهمّ هذه المدارس والاتجاهات التي ساهمت في تشكيله:

1. **مدرسة جنيف:** وقد تسمى هذه المدرسة بالمدرسة السوسيرية نسبة إلى مؤسسها الأول اللغوي دي سوسير، فإن المحاضرات التي ألقاها "دي سوسير"على تلاميذه في جنيف تمثل البداية المنهجية للفكر البنيوي وأول مصدر للبنيوية في الثقافة الغربية، وكان المبدأ الأساسي في بنيوية"دي سوسير"هو الرؤية الثنائية المزدوجة للظواهر، وتأتي في مقدمة هذه الثنائيات: أ. اللغة والكلام ب . الوصفية والتاريخية ج . ثنائية الدال والمدلول د . العلاقات الأفقية والرأسية، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني
2. **مدرسة الشكلية الروسية:** تمثل مدرسة الشكلية الروسية الرافد الثاني من الروافد التي شكلت البنيوية في مهدها، وقد نشأت هده المدرسة في فرنسا بين عامي 1914. 1930[1]، وتعود هده المدرسة إلى تجمعين علميين اثنين، الأول قام في موسكو، والثاني قام في سان بيترسبورغ[2].

أ- **حلقة موسكو اللغوية:** أسّست هذه الحلقة في أذار 1915م بجامعة موسكو بزعامة "رومان جاكبسون" الذي يعزى إليه تأسيس نادي موسكو الألسني، اهتمت هذه الحلقة بالشّعرية واللّسانيات، وتبحث عن الشّؤون الأدبية وماهية الشك[3].

ب- **جماعة الأبوياز:** أسّست سنة 1916م في "سان بيترسبورغ" من أعضائها فيكتور شكلوفسكي، وبوريس إيخنباوم، وليف جاكوبنسكي، وهي في الأصل مشكّلة من جماعتين منفصلتين: دراسي اللغة المحترفين وباحثين في نظرية الأدب، على أنّ أبرز أعضائها هم مؤرخو للأدب تحولوا إلى حقل اللّسانيات متّخذين من الشّعر موضوعاً أثيراً للدراسة حيث كانت الشّعرية الحب الأوّل لمنظري الأبوياز[4].

ودعا أصحاب هده المدرسة إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي وقد هاجموا الرأي القائل بأن الأدب فيض من روح المؤلف، أو أنه وثيقة تاريخية اجتماعية، ودعوا إلى استبعاد جميع المظاهر الخارجية، وركزوا على دراسة الشكل الأدبي ودلالته، و كانت تحليلاتها لمفهوم الشكل قريبة جداً من مفهوم البنية[5]. وبذلك فقد دعا الشكلانيون الروس إلى ضرورة التركيز على العلاقات الداخلية للنص، وذهبوا إلى أن موضوع الدراسة التاريخية ينبغي أن ينحصر فيما أسماه (رومان جاكبسون)بـ "أدبية الأدب"، فقد رفض فكرة توظيف الأدب لنصرة معتقدات معينة، ونادى بضرورة اقتصار النظر على المضمون الجمالي للأدب، أي الشكل، وعدم الالتفات إلى أية مضامين أو مفاهيم أو أخلاقيات أو معتقدات، وبذلك رأى أن موضوع العلم الأدبي "ليس هو الأدب في عمومه، وإنما الأدبية؛ أي ما يجعل منه عملاً أدبياً". وأما الطريقة التي يمكن لنا أن نكتشف بها الأدبية في الأدب، هي البحث عن طبيعة تشكل العناصر اللغوية داخل النظام الأدبي[6].

وقد قام رومان جاكبسون لأول مرة بتطبيق البنيوية اللسانية على النص الأدبي في الثقافة الغربية مع صديقه العالم الاجتماعي البنيوي كلود ليفي شتروس Lévi- Straussعلى قصيدة " القطط Les chats " للشاعر الفرنسي بودلير Baudelaire في منتصف الخمسينيات. وركز في تحليله على مستويين هما: المستوى الشكلي والمستوى الدلالي، مع التأكيد على أن هناك علاقة قوية تربط بين المستويين، وقد تم التركيز فيها على الصورة الشعرية، والعلاقات التي تربط بين الكلمات، وأثر ذلك في توليد الدلالات. مما يشير إلى

1ـ تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية: محمد عزام: 13.
2ـ ينظر: الشكلانية الروسية، فيكتور إيرليخ: 2
3ـ ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي: 40.
4ـ المصدر نفسه، ص 67.
5ـ ينظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، 17. وينظر: النص الشعري القديم في ضوء المنهج البنيوي، شبوكي شادية: 10.
6ـ ينظر: النص الأدبي في اللسانيات البنيوية: 224- 225.

أن مختلف المظاهر التركيبية للنص إنما تنطلق من أساس دلالي، كما أن مستويات النص، الصوتية الصرفية النحوية والدلالية، تتفاعل فيما بينها لتكون نسيجاً واحداً. وقد مكّن هذا الفهم لبنية النص الأدبي عند جاكبسون من تطوير المنهج البنيوي للنظام اللغوي[1].

3. حلقة براغ: تعد حلقة براغ المصدر الثالث للبنيوية، وقد تشكلت هذه الحلقة من مجموعة من الباحثين واللغويين، امثال جاكبسون، وبنفنست، ومارتينيه، وجونز، بوهلر، وغيرهم[2]. ومن أهم المبادئ التي قامت عليها هذه الحلقة هي:

- التركيز على الجانب الوظيفي للغة، على اعتبار أن البنى النحوية والدلالية والفونولوجية للغات تحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع.
- التأكيد على الدراسة الوصفية للغة، والابتعاد قدر المستطاع عن الجانب التاريخي.
- التأكيد على نظام الكلية أو الشمولية في التحليل، وذلك بأن تشمل الدراسة مستويات اللغة جميعها، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية[3].

وقد خطت حلقة براغ "للدراسات البنيوية بفضل جهود جاكبسون خطوات مهمة فجنحت إلى التخلص من الطابع الشكلي البحث ولم تعد قاصرة على الدراسات اللغوية والأدبية بل امتدت إلى المجالات النفسية والفلسفية والاجتماعية دون أن تغفل علم اللغة كنموذج لهذه الدراسات، ومن أكبر مكاسبها دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية، واعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها"[4]. مما ذكر "يتضح لنا أن حلقة براغ تنتمي إلى الاتجاه البنيوي وأفكار علماء حلقة براغ مستمدة من تعاليم وآراء دي سوسير، حيث تعد هده الحلقة مهمة لتوسيع الوصف اللغوي"[5].

4. البنيوية الفرنسية: في الستينيات من القرن العشرين"ازدهرت البنيوية في فرنسا بنوع خاص وطغت على وجودية سارتر التي ظلت مسيطرة على الحركة الأدبية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أواخر الخمسينيات"[6].

ويعد كلود ليفي شتراوس من أبرز أعلام البنيوية الفرنسية حيث أعجب بالفكر اللغوي السوسيري عن طريق محاضرات رومان جاكبسون الألسنية عام 1942وتأثر بها تأثراً شديداً[7].وقد تمثل تأثير "دي سوسير" في فكر "ليفي شتراوس" في اعتماده على ثلاثة مبادئ استمدّها من درس اللغة لدي سوسير: أوّلها أن اللغة نفسها يجب أن تدرس قبل أن تدرس علاقاتها بالنظم الأخرى (سواء منها التاريخية أو الاجتماعية والنّفسية)، أي أنّ البنية الداخلية لها الأولوية على الوظائف الخارجية، وثانيهما أنّ الكلام هو الشكل المسموع من اللغة يجب أن تحلّل إلى عدد محدود من العناصر البسيطة كالفونيمات على المستوى الفونولوجي، وثالثهما أنّ عناصر اللّغة يجب أن تحدّد على أساس علاقاتها المتبادلة[8]. أي أنّ ليفي شتراوس يرى أنّ دراسة اللغة تتمّ من خلال دراسة بنيتها الداخلية بمعزل عن العوامل الخارجية، فهو يرفض المرجعية التّاريخية والاجتماعية للغة، ويدرسها وفقًا للمحور الآني لا التاريخي، وإن الكلام هو التّجسيد الفعلي لهذه اللغة، أي أنّه يجب أن تحلّل إلى عناصر بسيطة كالفونيمات، ومن ثمّ اكتشاف العلاقات التي تربط بين عناصر وأجزاء اللغة والتي تتمثل في علاقة الاستبدال وعلاقة التركيب التي تربط بين كلمة وأخرى، وقد حوّل "ليفي شتراوس" هذه المبادئ الثلاث واستثمرها لتتوافق مع أغراضه الأنثروبولوجية[9].

1- ينظر: المصدر نفسه: 226.
2- ينظر: معرفة الآخر، عبدالله إبراهيم: 16.
3- ينظر: البنيوية: مفهومها وأهم روافدها: 476- 477.
4- المنهج البنيوي: حذوره الغربية: 26.
5- مسار النظرية البنيوية وأثرها على الدرس اللساني الحديث: 39.
6- مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، عثمان موافي: 108- 109.
7- ينظر: تجربة النقد البنيوي عند كمال أبي ديب، ميادة بن خالد: 9.
8- ينظر: البنيوية وما بعدها من كلود ليفي شتراوس إلى دريدا: 68.
9- ينظر: آليات التحليل النقدي البنيوي، سارة مغاوري وسامية تقرورت: 31- 32.

كما طبق المنهج الصوتي عند سوسير على دراسته الأنثروبولوجية فرأى أن علاقات القرابة مثلها مثل الحروف في الصوتيات في أنها عناصر للدلالة، كما أنه لا تكتسب دلالتها إلا بشرط أن تنخرط في نظم خاصة كالحروف تمامًا[1].وهو بهذا يستلهم صرخة علم اللغة السوسيري في دراسة الأساطير والشعائر وأبنية القرابة.

كما نلقى في البنيوية الفرنسية رولان بارت الذي استفاد من جهود الألسنية فاعتمدها لوصف المظاهر الاجتماعية الحياتية كالأزياء والصحافة والأثاث والطعام[2]. فقد لجأ"بارت" إلى تطبيق المنهج البنيوي على علم الاجتماع واتخذ الأزياء نموذجاً لتحليله البنيوي، إذ لجأ إلى تفنيد ودحض أفكار أولئك الذين يعتقدون بأن تصميم الأزياء مجرد فكرة عابرة خاطرة على ذهن مبتدعها[3]. ودائماً كان ينادي بشدة بمبدأ "متعة النص" من أجله ولذاته، خارجاً عن القواعد التي تمليها التقاليد. إذ إن متعة النص عنده هي معرفة النص المتحرر من الشروح القديمة، يعترض على القراءة ذات المنحى النفسي الانطباعي للحوار بين المؤلف والقارئ وإذا ما كانت القراءة هي الرغبة في العمل الأدبي، فإن محاولة تملكه هي دوماً مخيبة للأمل. فالعمل الأدبي متعدد المعاني في جوهره.وأصبحت الكلمة تحتل أعلى المراتب في القيمة الأدبية لدى "بارت"، فهي حرة طليقة بعيدة عن أي هيمنة أو سلطة أفكار مسبقة تلغي من خلالها العلاقات الثابتة، فالكلمة عنده هي حدث لا يباشره ماضٍ لصيق ولا بيئة ثابتة، فهي موجودة على إطلاقها لتصبح موسوعة تتدرج تحتها كل التوقعات التي يسمح بها كعلاقات خطابية يتطلبها الاختيار النصي. فهي تحقق لنفسها حالة لا يمكن تحقيقها إلا في القاموس أو الشعر – أماكن حيث يعيش الاسم من غير أداة تعريفه – وتتراجع إلى حالة من درجة الصفر، درجة اللامعنى، يندرج تحتها كل الاحتمالات الممكنة من ماضي الكلمة وتاريخ سياقها ومن مستقبلها بكل ما يمكن أن توحي به. لمتلقيها من دلالات حرة لذا فهي قادرة على أن تعني كل شيء.[4]

ومن وجهة نظره لا يكون النص نصاً إلا إذا قضى على كل لغة واصفة ؛ إذ يهدم بشكل كامل المرجع اللساني الاجتماعي ويتمرد على البنى المقدسة للغة ليعلن استقلاليته التامة في كل مرة. من هذا المنطلق قفز اسم "بارت" ليتصدر ويعتلي اسمه الصدارة في التبشير بإعادة بناء نصوص من خلال قراءتها والتمتع بنصها وإعادة صياغتها من جديد .ومن هذا المنطلق أصبح بلا منازع صاحب نظرية "موت المؤلف" التي دعا لها لتصبح شعاراً على عتبات النصوص الأدبية يجب أن يمر عليه قبل المرور على النصوص. ومعرفة ما تحمله بين دفتيها[5]. ولكنه في الأخير انقلب على البنيوية إلى السيميولوجية ليقترب بعد ذلك من إجراءات التفكيك في القراءة والكتابة[6].

وانطلق المفكر الفرنسي ميشيل فوكو في حديثه عن البنيوية من قوله: "إن الأنسان اختراع حديث العهد، صورة لا يتجاوز عمرها مائتي عام، إنه مجرد انعطاف في معرفتنا وسيختفي عندما تتخذ المعرفة شكلاً جديداً"[7].

وبهده المقولة الشهيرة صرح ميشال فوكو عن أبعاد فلسفته البنيوية، إد رأى أن النزعة الإنسانية لم تخلق لدى الإنسان سوى الأوهام والأساطير معتبراً أن الإنسان ما هو إلا مجرد انعطاف في معرفتنا[8]. فكانت فلسفة "فلسفة الإنسان" فيما يمكن اعتباره برحلة أولى للمشروع الفكري عند فوكو إتماماً ومواصلة لما كانت البنيوية قد بدأته من قبل، من هدم الدعائم النزعة الإنسانية، فعمل فوكو في

---

[1]- ينظر: مناهج النقد المعاصر: 218.
[2]- ينظر: تجربة النقد البنيوي عند كمال أبي ديب: 9.
[3]- مناهج النقد المعاصر: 88.
[4] - ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبدالله الغذامي: 71- 72.
[5]- ينظر: البنيوية ومابعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي: 22- 23.
[6]- ينظر: المصدر نفسه: 22.
[7]- موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: عبد الرزاق: 128.
[8]- ينظر: المصدر نفسه: 133.

هدا الميدان بحماس كبير موظف أدوات ومفاهيم جل مضامينها مستوحى من البنيوية التي تسعى إلى مطاردة آثار الإنسان مظاهر الوعي والإدارة، والقدرات الإبداعية والدات، والتاريخ كسيرورة[1].

ثم جاء جاك لاكان الذي اعتمد على مفهوم البنية في حقل التحليل النفسي، ودعا إلى العودة إلى فرويد معتبراً أن اللاشعور هو بنية شبيهة ببنية اللغة، وأن من شأن اللاشعور أن يؤدي عمله الوظيفي على نحو ما تؤديه اللغة بما لها من طابع بنيوي، وبدلك تحقق على يدي لاكان التقاء المنهج البنيوي بمنهج التحليل النفسي[2].

وفي خضم التناقضات والرؤية الفلسفية والعلمية المجردة، في التعامل مع التاريخ والإنسان، ظهر لنا ما يعرف "بالبنيوية التكوينية "والتي أسهم في صياغتها وبلورة فكرها الفرنسي الروماني الأصل)لوسيان جولدمان(والذي حاول فيه التوليف بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية وبين أسس الفكر الماركسي أو الجدلي، وهو المنهج الذي يتناول النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية من منطلق التسليم بأن كل أنواع الإبداع الثقافي تجسيد (لرؤيا العالم[3])المتولدة عن وضع اجتماعي محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية .فرؤيا العالم من المفاهيم الأساسية التي اتكأ عليها لوسيان جولدمان في بنيويته التكوينية، كما اتكأ على مفاهيم أخرى (كالوعي القائم والوعي الممكن[4]) ومفهومي (الفهم والتفسير[5])[6].

أخيراً تبقى البنيوية أحدى المناهج التي حلّت على ساحة النقد بعد العلوم الإنسانية، وانتشرت كالنار في الهشيم في أصقاع الغرب، وحاول أصحابها الرفع من شأنها، وإطالة عمرها, إلا أنها اندثرت بعدما كُتب لها الحياة والاستمرار حقبة من الزمن[7]؛ "لأنها اتخذت من موت المؤلف واستبداله بالمتلقي شعاراً لها"[8]. إذ رأوا أن قضية تحويل النشاط الإنساني إلى بنية، واختزال الإنسان، واستبدال دراسة الممارسة الإنسانية إلى دراسة للنتائج التموضعية داخل هذه الممارسات، بما أدى إلى تصور مفتعل للبنية بمنحها قواماً وجودياً يتخطى حدود العلمية ليمارس سلطته على الإنسان نفسه، كما أن عملية إسناد المعرفة المتراكمة لمستوى تموضع البنى قد يقود إلى ميتافيزيقيا واقع البنى المتعالي، وتكون مصدر سائر البنى المتعالية الأخرى, عوضاً عن ما بحث تباعاً عن الذات، وبحوث التحليل التي تعود إلى اللاوعي، والبنية التي تتسم بالهيمنة، إنما هي تمثل بؤر ميتافيزيقية، هي بمثابة الصيد الوافر لأعمال التفكيك، وبخاصة تفكيكية دريدا[9]. ومع كل هذا، لا نستطيع أن ننكر أن للبنيوية أهمية لا يمكن تجاهلها إذ كانت وليدة للفكر اللساني الذي يعد نقلة كبيرة في اللسانيات العالمية.

حتى قيل: البنيوية ثالث حركات ثلاث في تاريخ الفكر الحديث يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق يرى العالم ويعاينه، فمع ماركس ومفهومي الجدلية والصراع الطبقي، أصبح محالا أن نعاين المجتمع كما كان يعاينه من سبق

1- ينظر: المصدر نفسه: 128. وينظر: تجليات البنيوية في النقد العربي المعاصر: 34.
2- ينظر: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا: 171.
3- رؤيا العالم: هو البؤرة المركزية التي قام عليها المنهج البنيوي التكويني، وهي مجموعة من الأفكار والمعتقدات والتطلعات والمشاعر التي تربط أعضاء جماعة إنسانية وتضعهم في موقع التعارض مع مجموعة إنسانية أخرى، وهذا يعني أن رؤية العالم تتشكل عن طريق التطلعات الممكنة والمستقبلية والأفكار المثالية التي يحلم بتحقيقها مجموعة أفراد وفق مجموعة اجتماعية معينة. ينظر: : آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس"، خيرة خرشوش: 48.
4- الوعي القائم هو إدراك فئة اجتماعية ما لوضعها الراهن، والوعي يكتفي أن يصف دون أن يعمل على التغيير إذ مجموع التصورات التي تملكها جماعة ما عن حياتها ونشاطها الاجتماعي سواء في علاقتها مع الطبيعة أو مع الجماعات الأخرى. أما الوعي الممكن فهو جملة الإمكانات التغييرية التي يسعىالفردلتحقيقها بغية قلب الواقع الفعلي فهو مالا يمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة. ينظر: آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس": 54- 55.
5- الفهم عندههو التركيز على النص ككل دون الإضافة لأي شيء من تأويلنا أو شرحنا. والتفسير هو الذي يسمح بفهم البنية بطريقة أكثر انسجاماً مع مجموعة النصوص المدروسة، ويستلزم التفسير من وجهة نظره استحضار العوامل الخارجية لإضاءة البنية الدالة. ينظر: البنيوية وما بعدها بين التاصيل الغربي والتحصيل العربي: 46.
6- ينظر: تجربة النقد البنيوي عند كمال أبي ديب: 9- 10.
7- ينظر: (تقاطعات).. البنيوية.. أرادوها شراباً.. فكانت سراباً..!، وضحاء بنت سعيد آل زعير.
8- المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة: 282.
9- ينظر: البنيوية النشأة والمفهوم، الشمري: 425.

ماركس، ومع الفن اصبح محالاً أن نرى كرسياً كما يراه الذين سبقوا " بيكاسو" ومع البنيوية ومفاهيم التزامن، الثنائيات الضدية، والإصرار على أن العلاقات بين العلامات لا العلامات نفسها، وأصبح محالا أن نعاين الوجود الإنساني والثقافة والطبيعة، كما كان يعاينه الذين سبقوا البنيوية[1].

المبحث الثاني

الاتجاه البنيوي في الفكر اللغوي العربي تراثا ومعاصرة

أولاً/ أصول البنيوية في التراث اللغوي العربي:

إن المتأمل والباحث في الفكر اللغوي العربي عن البنيوية، يرى أن التركيز على نظامية اللغة أمر مهد لمعرفته علماء التراث اللغوي من قدماء العرب، بل قطعوا فيها شوطاً، حتى إن المرء ليحسّ أن المحدثين من الوصفيين لم يزيدوا شيئاً كثيراً عما ورد عند القدماء؛ بل إن المرء من خلال إتقان هؤلاء وأولئك، يستطيع أن يؤكد جانباً واضحاً من عملية الظاهرة اللغوية التي ينادي بها اللسانيات ويدعو إلى المفارقة بينها وبين الفلسفة[2].

أولا: اللغة والكلام (Langue\Parole):

أوضح دي سوسير غير مرة ان اللغة لا الكلام هي موضوع البحث في علم اللغة، ولكي نصل الى التعريف الذي حدده دي سوسير للغة، ولماذا عد اللغة وحدها موضوعاً للبحث في علم اللغة، لابد ان نقف عند المصطلحات الثلاثة، اللسان (Language)، واللغة (Langue)، والكلام (Parole).

1- الكلام (Parole): هو عملية التنفيذ يقوم بها الفرد وحده. وهو كل مايلفظه أفراد المجتمع المعين.
2- اللغة (Langue): هي نظام من علامات وصيغ، ينتقل من جيل الى اخر، وليس له تحقق فعلي؛ لأن الناس لايتكلمون بالقواعد، وإنما يتكلمون وفقاً لها. فهي نتاج اجتماعي، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد افراده على ممارسة ملكة اللسان.
3- اللسان (Langage): هي ظاهرة عامة تتمثل في العنصرين السابقين (اللغة والكلام) معاً، فهي ملك للفرد والمجتمع[3] فلذلك يجب عدم الخلط بين اللسان واللغة، فما اللغة الا جزء محدد منه، بل جزء جوهري، ونتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد افراده على ممارسة هذه الملكة، واذا نظرنا الى اللسان ككل، فنجد انه متعدد الجوانب، غير متجانس – يشتمل على عدة جوانب في آن واحد – كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) والفسلجي (الوظيفي) والسايكولوجي (النفسي)، فبما ان اللسان ملك للفرد والمجتمع لا يمكن ان نصنفه الى اي صنف من اصناف الحقائق البشرية، لأننا لا نستطيع ان نكشف عن وحدته. اما اللغة، فعلى نقيض من ذلك، لها كيان موحد قائم بذاته[4]؛ فلذلك قرر غير مرة ان اللغة لا اللسان هي موضوع البحث في علم اللغة. ومن ثم ذهب دي سوسير الى ضرورة الفصل بين اللغة والكلام، ففصل اللغة عن الكلام هو في الوقت نفسه فصل:

- بين ما هو اجتماعي وما هو فردي.
- وبين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي الى درجة ما[5].

1- ينظر: أساسيات في اللغة العربية، زايد مقابلة: 218- 220.
2- ينظر: علم الغة العام، 27-36. وينظر: مدخل الى علم اللغة، 300.
3- ينظر: الاتجاهات النحوية لدى القدماء، 163..
4- ينظر: المصدر نفسه، 27.
5- ينظر: المصدر نفسه، 32.

يتبين لنا من هذه التفرقة بين اللغة والكلام، أن دي سوسير لمّا أراد أن يدرس اللغة دراسة علمية، جعل مهمة الألسني دراسة اللغة، بوصف اللغة نتاجا اجتماعيا، لذلك فإنها محددة ومتجانسة، بينما الكلام نتاج فردي قائم على الاختيار وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به وتحديده؛ وبما أن الكلام يتحقق في صور مختلفة لا حصر لها، وليس ثمة علم يمكن أن يدرس هذه الصور في الواقع، فالمفردات والعبارات والجمل (في اية لغة) لا حصر لها ولا سبيل الى دراستها، أما طرق التي تبنى بها المفردات او العبارات او الجمل فتقع تحت الحصر ويمكن دراستها، ولهذا كان موضوع الدراسة العلمية للغة النماذج التي يأتي الكلام عليها. فمثلاً:

كان+ اسم مرفوع+ اسم منصوب.

هذا الشكل نموذج من اللغة. أما الشكل التالي:

كان المطرُ غزيراً.

فجملة تأتي مطابقة له، وفي مقدورنا أن نأتي بعدد لا حصر له من أمثالها. أي أن النموذج واحد، والجمل لا حصر لها؛ فينبغي ان ندرس النماذج او القواعد لا الجمل الفعلية؛ وكذلك ان الجملة السابقة حين ينطقها عدد من الأفراد او شخص واحد، يتحقق في الواقع عدد من المنطوقات المختلفة يماثل عدد الافراد الذين ينطقونها او عدد المرات ولا سبيل الى دراسة هذه الصور الفردية المتعددة[1]؛ وعلى الرغم من الفروقات الموجودة بين اللغة والكلام، ذكر دي سوسير أن بين هذين الجانبين صلة وثيقة، اذ يعتمد كل منهما على الاخر؛ وذلك لأن اللغة ضرورية للكلام اذا أريد للكلام أن يكون مفهومه يحقق الغاية المتوخاة منه، ثم إن الكلام ضروري لتثبيت أركان اللغة[2]؛ ومعنى هذا ان اللغة أداة الكلام، كما انها نتاجه في الوقت نفسه، فهي تمد هذا الكلام بالقواعد والقوانين التي تجري على سننها تحقيقه المادي الفعلي؛والكلام هو الاخر ضروري لبناء اللغة وتكوينها، وهو وسيلتها الى التطور والنمو، ويتم التطور عن طريق تأثرنا بكلام الافراد الكثيرين من حولنا، الامر الذي قد يؤدي الى تعديل عاداتنا اللغوية او تغييرها[3]؛ وعلى الرغم من هذه الصلة الوثيقة بينهما الا أنه لا يمكننا إنكار الاختلاف الذي بين اللغة والكلام. ولابد أن نشير الى أن علماء العرب القدماء أشاروا الى شيء من هذا التمييز في دراستهم للغة، فهذا سيبويه ميّز بينهما، قبل دي سوسير بقرون، ورأى أن اللغة يبرز وجودها من خلال الاستعمال الفعلي لها، واتضح ذلك من خلال مجموعة من العبارات كان يستخدمها بشكل متكرر أثناء عرض قضاياه اللغوية، كقوله: "وإن كانوا لم يستعملوا في كلامهم ذلك"[4]، إذن فالكلام عنده يجب أن يوافق النظام الذي في عقول أفراد المجتمع اللغوي[5]؛ وكذلك نجد عبد القاهر الجرجاني قد اشار الى أن " العلمَ بجميع ذلك لا يعدو أن يكونَ عِلْماً باللغةِ، وبأَنْفُس الكَلِمِ المفردة، وبما طريقُهُ طريقُ الحِفْظِ، دونَ ما يُستَعَانُ عليه بالنظَرِ، ويُوصَلُ إليه بإعمالِ الفِكْرِ"[6]، وقال: " إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضح لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض"[7].

نلحظ مما سبق أن الجرجاني فرّق بينهما وذلك بأن جعل اللغة في الجانب النظري، تخص الكلمات المفردة ومعانيها، وأطلق عليها اسم علم اللغة، وجعل الكلام في الجانب التطبيقي، فهو وسيلة يستعمله الإنسان للتعبير عن أغراضه وأطلق عليه الوضع اللغوي[8]؛ وفي ذلك قال: "اعلم أن الكلام هو الذي يُعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشفُ عن صُوَرها، ويجني صنوفَ ثَمَرها، ويدلُّ على سرائرها، ويُبْرِزُ مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبّه فيه على عِظَم الامتنان"[9]؛ الا أن همّ

1- ينظر: سوسير رائد علم اللغة الحديث، 22. وينظر: مدخل الى علم اللغة، 201-202.
2- ينظر: علم اللغة العام، 37-38.
3- الكتاب: 275/3، 421/4.
4- ينظر: الاتجاهات اللسانية في الكتابات العربية، 25.
5- دلائل الاعجاز: 396.
6- المصدر نفسه: 539.
7- ينظر: قضايا الاصول التراثية في اللسانيات المعاصرة، عاصم شحادة علي، 79. وينظر: بحوث لغوية، احمد مطلوب، 100.
8- اسرار البلاغة: 3.
9- ينظر: بحوث لغوية، 100.

الجرجاني لم يكن في ان يبحث في اللغة، إذ لم يكن ذلك من شأنه، ولأن معرفتها طريق التوقيف ولا يتفاوت فيها الناس، وإنما كان هدفه وكده أن يبحث في الكلام وبلاغته لإبراز مواطن الجمال في الكلام العرب عامة والقران الكريم خاصة، وإظهار جماله ودقته وإعجازه وبلاغته وكشف أسراره في البنية والأسلوب[1]، إذ قال: " قد علِمْنا عِلْماً لا تَعْترِضُ معَه شُبْهةٌ: أنَّ "الفصاحةَ" فيما نحنُ فيه، عبارةٌ عن مزيَّةٍ هي بالمتكلِّم دونَ واضِعِ اللغةِ. وإذا كان كذلك، فينبغي لنا أنْ ننظُرَ إلى المتكلم، هل يستطيعُ أن يَزيد مِنْ عنْدِ نفْسِه في اللفظِ شيئاً ليس هو له في اللغة، حتى يَجعَلَ ذلك من صَنيعِه مزيةً يُعبَّر عنها بالفصاحة؟ وإذا نظَرْنا وجَدْناه لا يستطيعُ أن يصْنَعَ باللفظِ شيئاً أصْلاً، ولا أن يحدث فيها وصفًا كيف؟ وهو إن فعل ذلك أفسَدَ على نفسِه، وأبطلَ أن يكونَ متكلِّماً، لأنه لا يكون متكلِّماً حتى يَسْتَعمِل أوضاعَ لغةٍ على ما وضعت عليه. وإذا ثبت في حالِه أنه لا يستطيعُ أن يَصْنع بالألفاظِ شيئاً ليس هو لها في اللغة، وكنَّا قد اجتمعْنا على أنَّ "الفصاحةَ" فيما نحن فيه، عبارةٌ عن مزيةٍ هي بالمتكلِّم البتَّةَ وجب أن تعلم قطعًا وضورة أنَّهم وإن كانوا قد جَعَلوا "الفصاحةَ" في ظاهرِ الاستعمالِ مِنْ صفةِ اللفظِ، فإنَهم لم يَجْعلوها وصْفاً له في نفسه، ومِن حيثُ هو صدى صوتٍ ونطقُ لسانٍ، ولكنهم جَعلُوها عبارة عن مزية أفادها المتكلم في المعنى، لأنه إذا كان اتفاقًا أنها عبارة عن مزية أفادها المتكلم، ولم نره أفاد في اللفظِ شيئاً، لم يَبْقَ إلا أنْ تكون عبارة عن مزية أفادها المتكلم، ولم نره أفاد في اللفظِ شيئاً، لم يَبْقَ إلا أنْ تكون عبارة عن مزية أفادها في المعنى"[2]. وكذلك قال في موضع اخر: " واعلمْ أنَّا لم نُوجِبْ المزيَّةَ من أجلِ العِلْم بأنفُسِ الفروقِ والوجوهِ فتستند إلى اللغة، ولكنَّا أوجبْناها للعلم بمواضِعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضْلُ للعلم بأنَّ "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تَراخٍ، و"ثم" له بشرطِ التَراخي، و"إنْ" لكذا و"إذا" لكذا، ولكنْ لأَنْ يتأتَّى لكَ إذا نظَمْتَ شعراً وألَّفْتَ رسالةً أنْ تُحْسِنَ التخيُّرَ، وأن تَعْرِفَ لكلٍّ مِنْ ذلك مَوضِعَه"[3].

يتبين لنا مما تقدم أن الجرجاني و دي سوسير أجمعا على أنّ ما يلفظه الفرد (الكلام) هو الذي يقع فيه الاختلاف، بينما اللغة ثابتة؛ لكن دي سوسير جعل اللغة أساس الدراسة اللغوية، بينما عبد القاهر الجرجاني لم يتخذ هذه السبيل منهجاً له؛ وذلك لأن هدفه ليس وصف اللغة ولا الوقوف على اللغة المنطوقة، وإنما كان هدفه الأول الوقوف على روعة كلام الله وإعجازه، لذلك اختلف منهج الرجلين لاختلاف هدفهما، فالأول كان يهدف الى دراسة اللغة لذاتها، وأما الثاني فكان يهدف الى إظهار روعة القران وإعجازه[4].

ثانياً/ الوصفية والتاريخية (Synchronic\Diachronic):

إن الدراسات اللسانية في القرن التاسع عشر قد سيطرعليها المنهج التاريخي والتطوري، وذهب لغويو هذه الحقبة الى ان هذه نظرة هي التي تصلح ان تكون موضوعاً للبحث والدراسة وما يخرج عنها لا يعتد بها. كما تمثل ذلك في آراء النحاة الجدد، وظل الأمر على هذا النحو حتى جاء دي سوسير، و "ثار على هذا الخط التقليدي ورأى ان هناك طريقين مختلفين لدراسة اللغة، أما احدهما فسماه المنهج "الدياكروني diachronic" او "التاريخي historical" او ما يدعى احياناً بالنظرة الديناميكية dynamic. والثاني هو طريق التحليل السنكروني Synchronic او ماعرف فيما بعد عند بعضهم بالوصفي descriptiveوقد ينعت احياناً بالثابت static او الاني او التزامي"[5]، ومن ثم أخذ يميِّز بين هذين المنهجين في بحث الدرس اللساني.

1- المنهج التاريخي أو التعاقبي (Diachronic):

يقصد به "تتبع تطور الظواهر اللغوية والنظام اللغوي ككل مع مرور الزمن وتعاقب المراحل، لأنها تتبع الظواهر اللغوية في تواليها وتغيرها من حقبة زمانية لأخرى"[6]، بمعنى أنه يتتبع التطور التاريخي للغة ما، لملاحظة التطورات والتغيرات التي حدثت في أصواتها او تركيبها او دلالتها عبر مراحل تاريخها.

1- دلائل الاعجاز: 401-402.
2- المصدر نفسه: 249-250.
3- ينظر: بحوث لغوية، 102.
4- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، 110.
5- اللسانيات العامة واللسانيات العربية: عبدالعزيز حليلي، 24.
6- ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، 125.

2- المنهج الوصفي او الآني (Synchronic):

يقصد به دراسة اي لغة من اللغات على حدة دراسة وصفية في نقطة زمنية معينة[1]. بمعنى أن المنهج الوصفي يدرس النظام اللساني للغة ما في لحظة زمنية معينة بعيداً عن عامل الزمن؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن الدراسة الوصفية "لا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة او المعاصرة، بل يمكنها ايضاً ان تدرس اللغات الميتة بشرط ان تتوفر كل المعطيات اللغوية التي تتبني عليها الدراسة العلمية الوصفية"[2]. فدراسة اللغة الآشورية مثلاً من خلال نصوص مسجلة في وقت محدد تعد دراسة وصفية، وان كانت مثل هذه الدراسة اقل دقة وكمالاً من الدراسة التي تعتمد على لغة معاصرة يتحدث بها جماعة حية من الناس يسهل على الباحث ان يرجع اليهم ويستخلص القواعد من السنتهم[3]؛ ولتوضيح الفرق بينهما بشكل دقيق، مثل لذلك بالدراسة التشريحية للنبات ما فهو يقول: "اذا قطعنا النبات بصورة عرضية يظهر لنا شكل معقد للسطح الذي قطعناه، وهذا الشكل لا يمثل الا زاوية واحدة للأنسجة ,ونستطيع أن نرى هذه الانسجة اذا قمنا بقطع ثان عمودي على الأول، وفي هذه الحالة أيضاً يعتمد المقطع الأول على المقطع الثاني فالمقطع الطولي يرينا الأنسجة التي تؤلف النبات والمقطع المستعرض (العرضي) يرينا ترتيب الأنسجة على سطح معين، ولكن المقطع الثاني يختلف عن الأول، لأنه يبين بعض العلاقات الأنسجة التي لا نستطيع أن نفهمها اذا نظرنا الى المستوى أو المقطع "[4] ولتوضيح هذا التمييز بشكل أفضل وأوضح فانه يقارنها بلعبة الشطرنج "ففي مباراة الشطرنج لا يهمنا معرفة نوع قطع معرفة النظام الداخلي للعبة ,فمثلاً لو انتقصنا من عدد القطع أو زدنا عليها لكان لذلك تأثيره كبير على قواعد اللعبة [5]

وأكد دي سوسيرعلى أن الدراسة التاريخية للظاهرة اللغوية – كما كان سائداً في القرن التاسع عشر – ليست علمية؛ لأنها لا تستطيع أن تطبق مبادئ البحث العلمي، فركز اهتمامه على وصفها لأن اللغة جهاز معقد يعوزه الوصف الدقيق الكامل قبل أن تدرس دراسة تاريخية تطورية.فهو بذلك لا يلغي الدراسة التاريخية ليحل محلها الدراسة الوصفية، بل على العكس من ذلك أكد أن المنهجين متكاملان وكل منهما في خدمة اللغة؛ فالوصفية تدرس اللغة بوصفها جهازاً، وتدرس وظائفها وعلاقة عناصرها بعضها ببعض ,والتاريخية تبحث في تطورها عبر الزمن ؛ وتعد الدراسة الوصفية "منطلق الدراسة التاريخية ,ولا تخلو الدراسة الوصفية من عناصرها (زمانية تاريخية)أيضاً ,لأن اللغة يتعايش في كنفها في أي فترة زمانية محددة بقايا الماضي والحاضر وآفاق المستقبل[1]، ولكنه حذر من اعتماد الدراسة الوصفية على النظرة التاريخية ,لما يعقب ذلك من الخلط في النتائج اللغوية,ولكن الدراسة التاريخية لها أن تلجأ الى النظرة الوصفية, بل إن ذلك أمر ضروري حين تعدد الفترة الزمنية يعني –بداهة– انتظام العمل لأكثر من دراسة وصفية سابقة ,كل واحدة منها تختص بفترة زمنية واحدة [6].

إن المتأمل في البحوث العربية القديمة عن المنهج الوصفي الذي دعا اليه دي سوسير، يتبين له أن الدراسات العربية بدأت وصفية، قامت على جمع المادة اللغوية ووصفها، ثم ملاحظة المادة المجموعة واستقرائها، والخروج بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوي السليم؛ وهذه هي الخطوات نفسها التي دعا اليها دي سوسير وتأثر اللغويين بها، وحاولوا تطبيقها في دراساتهم اللغوية.

ثالثاً/ العلامة اللغوية (Linguistic Sign):

لم تكن نظرية العلامة على الدرس اللساني نظرية جديدة اذ ولدت ضمن سياقات فلسفية وعقدية بالغة التنوع والاختلاف[7]، فقد "صاغ الرواقيون ثنائية الصيغة والمعنى مميزين في اللغة بين الدال و المدلول, اللذين يذكرنا باصطلاحي الدال والمدلول عند دي

1- ينظر: المنهج الوصفي وتطبيقاته في الدرس اللغوي الحديث، كمال حسين احمد، 377-.
2- المصدر السابق.
3- المصدر نفسه
4- ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، 115.
5- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب: 42..
6- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ,101.
7- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ,115

سوسير. أما النصوص المرتبطة بالموضوع فيصعب تفسيرها ,ولكن يبدو أن المدلول لم يكن صورة ذهنية بشكل كامل, بل كان شيئاً ما في ذهن المتكلم والمستمع يقلل نطقاً معيناً في اللغة"[1]، وعلى هذا "تكون العلامات معروفة منذ مدة طويلة ,وقد كان معروفاً أيضاً أن العلامات اللغوية هي ربط بين تصور وصورة صوتية"[2]، وان لم يكن دي سوسير هو أول من تطرق الى العلامة اللغوية ,الاأننا لايمكننا "أن ننكر أن التيار البنيوي هو الذي وفر في القرن العشرين الشروط الأساسية لدراسة العلامات "[3] وهو الذي "نهض بكامل المفاهيم الحالية للعلامات في تأليف معين الى مستوى أعلى ,والذي رتب العلامات في أنظمة علاماتية Zeichen systemen ,والذي حدد خواص العلامة اللغوية ,والذي بحث العلاقات بين لغات انسانية طبيعية وأنظمة علاماتية أخرى "[4]، وأشار دي سوسير الى الناس منذ العصور الغابرة كانوا يفهمون أن اللغة ,هي عملية لتسمية الأشياء ,اي إنها قائمة من الألفاظ ,وكل لفظ تدل على الشيء الذي تسميه[5]، ليؤكد أن العلامة اللغوية هي التي تربط بين الفكرة والصورة الصوتية ,وليس بين الشيء والتسمية ولا يقصد بالصورة الصوتية ,الناحية الفيزيائية للصوت بل الصورة السايكولوجية للصوت ,أي الانقطاع أو الاثر الذي تتركه في الحواس والفكرة هي أكثر تجريداً من الصورة الصوتية[6]؛ فالعلامة اللغوية، إذن، هي كيان سايكولوجي؛ له جانبان: هما فكرة وصورة صوتية. وهذان العنصران متصلان اتصالاً وثيقاً، فكل منهما يوحي بوجود الاخر. فإذا استحضرنا كلمة "شجرة" فهذه الصورة الصوتية تستدعي الى ذهن فكرة الذهنية للشجرة فقط، واما غير ذلك مما يخطر على بالنا فيهمل[7]. ولنأخذ المثال الآتي لتوضيح ما يعنيه بدقة: لنقل – بشكل عام – إن العلامة او الكلمة (قلم) يمكن النظر اليها من جانبين: –

أ– جانب مادي ويتألف من شقين:

- الموجود الخارجي او الشئ المشار اليه (الأداة التي نكتب بها).
- اللفظ المنطوق بالفعل الذي يتمثل في اصوات واقعية.

ب– جانب ذهني، ويتألف من شقين:

- مفهوم او صورة ذهنية للموجود الذي يشار اليه بلفظ (قلم).
- صورة سمعية اي صورة اللفظ نفسه التي يمكن ان نتمثلها لو نظرنا الى كلمة (قلم) مكتوبة، دون ان ننطق بها.

والعلامة اللغوية عند دي سوسير تتمثل في العلاقة بين المفهوم والصورة السمعية. وهي علاقة تستبعد الجانب المادي بشقيه، وقد أوضح غير مرة أنه لا يعني بالصورة السمعية المادة الصوتية الخالصة، بل يعني بها الأثر السيكولوجي للصوت اي الانطباع الذي يثيره في الذهن؛ فالعلامة اللغوية اذن صورة ذهنية مركبة من المفهوم والصورة السمعية، وهاتان الصورتان لا يمكن أن ينفصلا فإنهما كصفحة من الورق من المستحيل أن تقطع وجهاً منها دون أن تقطع الآخر. والعلاقة بينهما علاقة متبادلة، فكل منهما يستدعي الآخر[8]؛ ونظراً الى الالتباس والغموض الذي يصاحب بعض التسميات الواردة في التحليل اللغوي القديم للعلامة، يقترح دي سوسير استبدال المصطلحات القديمة بأخرى أكثر وضوحاً ودقة للتعبير عن مكونات العلامة فيستبدل مصطلحي الصورة الصوتية، والمفهوم على التوالي، بمصطلحي الدال Signifiant، والمدلول Signifie[9]. فالدال: هو الصورة الصوتية حسية ومادية تحدث في دماغ المستمع سلسلة الأصوات التي تلتقطها أذنه، وتستدعي الى ذهن المستمع صورة ذهنية هو المدلول الذي هو متصور ذهني أ فكرة، وليس الشئ

1- مناهج علم اللغة من هومان باول: 101.
2- ينظر: علم اللغة العام ,84.
3- ينظر: المصدر نفسه 84 -85.
4- ينظر: علم اللغة العام، 85-86.
5- ينظر: سوسير رائد علم اللغة الحديث، 27-28. وينظر: مدخل الى علم اللغة، 306-307.
6- ينظر: علم اللغة العام، 86. وينظر: في اللسانيات العامة، 230.
7- ينظر: مفهوم العلامة اللسانية وتطبيقاتها في الدراسات اللسانية الحديثة بالمغرب العربي، 31..
8- النحل: 16.
9- ينظر: ملامح فكرة العلامة اللغوية(الدال والمدلول) في التراث اللغوي العربي، هدى صلاح رشيد، 139-140.

أو المرجع الخارجي نفسه[1]؛ وهكذا أخذت العلامة اللغوية على يد دي سوسير بعداً تأسيساً صارماً، وظهرت كفكرة ذات أسس وقواعد خاصة وتطورت أصولها في الدراسات اللسانية التي ظهرت من بعده.

وأما في التراث اللساني العربي القديم، فقد كان هذا التراث خزيناً علمياً وثقافياً إذ ظهر بشكل نظام من العلامات الدالة وتبلورت العلامة اللغوية على يد علماء الأصول والتفسير واللغة والبلاغة، فكان أول انطلاق لهم من القران الكريم لاكتشاف أساليبه التي أعجزت البلغاء، ولاسيما ان القران الكريم قد ارشدهم في مواضع عديدة الى تدبر العلامات، قال تعالى: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[2]، فدعاهم الى بحث البنية الدلالية للألفاظ من أجل اكتشاف كنهها ومفهومها[95]. فالفلاسفة العرب القدماء الذين تناولوا اللفظ والمعنى درجوا على استخدام مصطلح الدلالة، التي ترددت عندهم في مواضع كثيرة، وقيل في بيان مفهومه اللغوي: "الدال واللام أصل يدل على ابانة الشئ بأمارة تتعلمها والدليل الامارة في الشئ"[3]، وهذا المفهوم للدلالة "يدل على انهم فهموا الدليل على أنه العلامة التي تعرف بها الأشياء أو يستدل عليها من خلالها"[4]. وأشار أبو هلال العسكري الى مفهوم العلامة بقوله: "وعلامة الشئ ما يعرف به المعلم له ومن شاركه في معرفته دون كل واحد كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه فيكون دلالة لك دون غيرك ولا يمكن ان يستدل به عليه"[5]، فنرى أنه جمع بين مصطلحي العلامة والدلالة، وذلك يشمل ضمناً الأدلة اللغوية بوصفها علامات يعرف بها الأشياء المعلم لها[6]. والإمام الغزالي رأى أن "اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة او السمة، حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه"[100]، وعرّفها بأنها نظام تواصلي إبلاغي يستخدمها الانسان، من حيث هو كائن متكلم؛ لأن لا متكلم إلا وهو محتاج الى نصب علامة لتعريف ما في ضميره[7]. وأما ابن سينا فقد تحدث بشكل أكثر تفصيلاً ووضوحاً عن الدلالة، فقال: "معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفت الى معناه"[8]؛ فالأشياء الموجودة في العالم الخارجي لها وجود في النفس، فبين الصوت والمعنى علاقة استدعت كلاً منهما الآخر، وهناك ربط بين المسموع والمنطوق، وهو بهذا الفهم نجده يتفق مع ما وجدناه عند دي سوسير، فالعلامة عند ابن سينا ثنائية متآلفة من مسموع ومفهوم، وهذا ما أكده دي سوسير حين ذهب الى أن الدال صورة صوتية والمدلول مفهوم يتجلى في النفس، وإنهما كياناً ثنائياً يتألف من عنصرين ذوي طبيعة نفسية[9]؛ وأشار ابن خلدون الى العلامات ورأى أنها "هيئات وأحوال للواقعات جعلت للدلالة عليها احوال وهيئات في الألفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه"[10]. وتحدث عبد القاهر الجرجاني عن العلامات، وشكلت قضية الدال والمدلول عنده جدلاً في مواضع كثيرة من كتبه، مثلاً اشار الى ان الكلام يتكون من لفظ ومعنى به قائم ورباط لهما نظام، بحيث اذا وجب للمعنى أن يكون أولاً في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق[11]؛ ورأى أنه لا معنى للعلامة حتى يحتمل الشئ ما جعلت العلامة دليلاً عليه[12]؛ وهو بهذا القول أشار الى الدال والمدلول الذي ذكره دي سوسير. وكذلك نجد فخرالدين الرازي تحدث بتوضيح وتفصيل أكثر عن العلامة او الدلالة، إذ قال إن " لِلْأَلْفَاظِ دَلَالَاتٌ عَلَى مَا فِي الْأَذْهَانِ لَا عَلَى مَا فِي الْأَعْيَانِ وَلِهَذَا السَّبَبِ يُقَالُ: الْأَلْفَاظُ تَدُلُّ عَلَى الْمَعَانِي، لِأَنَّ الْمَعَانِيَ هِيَ الَّتِي عَنَاهَا الْعَانِي، وَهِيَ أُمُورٌ ذِهْنِيَّةٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنَّا إِذَا رَأَيْنَا

1- مقاييس اللغة: 259/2..
2- ملامح فكرة العلامة اللغوية: 140.
3- الفروق اللغوية: 70.
4- ينظر: ملامح فكرة العلامة اللغوية، 140.
5- أسرار البلاغة: الجرجاني، 376.
6- ينظر: المستصفى في علم الاصول، الغزالي، 185.
7- الشفاء: 4.
8- ينظر: ملامح فكرة العلامة اللغوية، 140-141.
9- مقدمة ابن خلدون، 1066.
10- ينظر: دلائل الاعجاز، 9.
11- ينظر: اسرار البلاغة، 376..
12- تفسير مفاتيح الغيب، 37/1.

جِسْمًا مِنَ الْبُعْدِ وَظَنَنَّاهُ صَخْرَةً قُلْنَا إِنَّهُ صَخْرَةٌ، فَإِذَا قَرُبْنَا مِنْهُ وَشَاهَدْنَا حَرَكَتَهُ وَظَنَنَّاهُ طَيْرًا قُلْنَا إِنَّهُ طَيْرٌ، فَإِذَا ازْدَادَ الْقُرْبُ عَلِمْنَا أَنَّهُ إِنْسَانٌ فَقُلْنَا إِنَّهُ إِنْسَانٌ، فَاخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اخْتِلَافِ التَّصَوُّرَاتِ الذِّهْنِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَدْلُولَ الْأَلْفَاظِ هُوَ الصُّوَرُ الذهنية لا الأعيان الخارجة"[1]. فالمدلول عنده كما واضح من هذا النص هو الصورة الذهنية التي تتشكل لتحديد الدال، وذكر ان المعنى هو "الْمَعْنَى اسْمٌ لِلصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ لَا لِلْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى عِبَارَةٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي عَنَاهُ الْعَانِي وَقَصَدَهُ الْقَاصِدُ، وَذَاكَ بِالذَّاتِ هُوَ الْأُمُورُ الذِّهْنِيَّةُ، وَبِالْعَرَضِ الْأَشْيَاءُ الْخَارِجِيَّةُ، فَإِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ أَرَادَ بِهَذَا اللَّفْظِ هَذَا الْمَعْنَى، فَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَصَدَ بِذِكْرِ ذَلِكَ اللَّفْظِ تَعْرِيفَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُتَصَوَّرِ"[2]؛ وقال في موضع آخر "لَا شَكَّ أَنَّ الْكِتَابَةَ دَالَّةٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَلْفَاظَ دَالَّةٌ عَلَى الصُّوَرِ الذِّهْنِيَّةِ"[3]. ومن هنا نستنتج ان الدلالة اللفظية عند الرازي تتكون من عناصر محددة وهي: –

أ – الدال: اللفظ (الصوت).

ب – المدلول: الصورة الذهنية (المتخيل).

ج – المعنى: اسم الصورة الذهنية.

د – الأشياء الخارجية: الأشكال المشاهدة.

هـ – التسمية: الاختيار الارادي للفظ المناسب للصورة الذهنية[4].

وكذلك نجد ان حازم القرطاجني قد أشار الى هذه المسألة عندما ذهب الى ان " كل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه, فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها"[5]؛فالقرطاجني "بهذا الفهم يقيم العلاقة بين الدلالات الصوتية والرموز الكتابية على اساس من الترابط الدلالي بحيث يتحول كل مدلول الى دال. فهيئات الألفاظ تكون مدلولاً في علاقتها بالرموز، ولكن تصبح دالاً في علاقتها بالصور الذهنية؛ كما ان الصور الذهنية تكون مدلولاً بالصورة السمعية وتصبح دالاً في علاقتها بالمدرك العيني الخارجي"[6]. هذا بعض ما افرزته الدراسات اللسانية التراثية العربية، التي تبين ان العرب كانوا سباقين الى ادراك مفهوم العلامة وحقيقتها، فقد اثبتوا حضورها في التراث، الجرجاني وابن خلدون وغيرهما.

رابعاً/ علم السيميولوجيا (علم العلامات Semologie):

يعد دي سوسير في التقليد الأوربي، أول من بشر بعلم السيميولوجيا، العلم الذي سيأخذ على عاتقه دراسة حياة العلامات او الرموز في رحاب الحياة الاجتماعية[7]؛ وتجدر الإشارة هنا الى أن للسيميولوجيا تاريخا طويلا، وجذورا موغلة في القدم، اذ تعود في امتداداتها الى الفكر اليوناني مع ارسطو، وافلاطون، والرواقيين، كما تطورت أيضاً مع فلاسفة عصر النهضة، مروراً بالفلاسفة المسلمين، وعلماء الكلام، والأصوليين لكن هذه المساهمات تبقى متواضعة جداً، وعبارة عن افكار متناثرة؛ فالبداية الحقيقية للسيميولوجيا، كانت مع التصور السوسيري، إذ قطع هذا العلم الجديد اشواطاً علمية ملحوظة، واخترق عديد من العلوم والمعارف، بل إنه أعاد ترتيب العلاقات بينه وبين اللسانيات والابستمولوجيا والفلسفة وعلم النفس والاجتماع والأكسيوماتيك.

1- المصدر نفسه..
2- المصدر نفسه: 142/1.
3- ينظر: الدليل اللغوي وعلاقة اللفظ بالمعنى عند فخرالدين الرازي، 13-14.
4- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 4..
5- مفهوم العلامة اللسانية وتطبيقاتها: 8..
6- ينظر: علم اللغة العام، 34.
7- ينظر: دروس في السيميائيات، حنون مبارك، 102.

لقد انتقلت السيميولوجيا من تبعيتها للسانيات الى قيامها بجمع شمل العلوم، والتحكم فيها، وانتجت أدوات معرفية لمقاربة مختلف الظواهر الثقافية، بوصفها انساقاً تواصلية ودلالات. وعلى الرغم من انها تبدو متعددة حيث ان هذه الكلمة استعملت لتغطي ممارسات متنوعة، فإن لها وحدة عميقة تتجلى في كونها تنظر الى مختلف الممارسات الرمزية للإنسان، وذلك بعدّها أنشطة رمزية وأنساقاً دالة، وبذلك أوجدت لنفسها موقعاً أبستمولوجيا شرعياً[1].

ودي سوسير في كتابه لم يتناول السيميولوجيا إلا عرضاً او بفقرات قليلة جداً، وذلك في معرض حديثه عن موقع اللسان ضمن الظواهر الإنسانية؛ لأن قوانين اللسان في اعتقاده هي نفسها التي يجب أن تقود الى معرفة قوانين الأنساق الأخرى، فتأسيس السيميولوجيا كعلم مستقل لا يمكن أن يتم قبل تأسيس اللسانيات كدرس مستقل مكتفٍ بنفسه، ولعل هذا ما يفسر كون السيميولوجيا لم يرد في كتابه الا بشكل عرضي، في صيغة استقلالية غير محددة الملامح والمضمون؛ فهي علم مستقبلي سيتم تأسيسه ليكون حاضناً لكل الأنساق الدالة الأخرى، وسيكون من الشمولية والاتساع لدرجة أن اللسانيات لن تشكل داخله سوى جزء بسيط او فرع من فروعه الكثيرة، ولن يكون اللسان، تبعاً لذلك، سوى نسق عادي لا يختلف في شئ عن الأنساق الأخرى، على الرغم من أن قوانين هذا العلم الجديد ومفاهيمه وطرق عمله ستكون مستعارة من اللسانيات في المقام الأول[2]؛ فقد نظر الى اللغةLangue في أبسط تعريف له بأنها نظام من العلامات التي تعبر عن الافكار؛ ويمكن تشبيهها بنظام الكتابة، وأبجدية الصم والبكم، او الطقوس الرمزية او الصيغ المهنية او العلامات العسكرية او غيرها من الأنظمة، ولكن اللغة أهم هذه الأنظمة جميعاً[3]؛ فهذه الأنظمة كلها لها الطابع التواصلي نفسه المتمثل في نقل أفكار بواسطة اقتران العلامات التي تتحقق عن اقتران الدال والمدلول، ولا تختلف اللغة عنها الا في كونها أهم مظهر من مظاهرها؛ فاقترح دي سوسير لدراسة هذا النظام العام القائم على العلامات علماً جديداً يسميه السيميولوجيا Semiologie تكون وظيفته دراسة العلامات في حضن المجتمع[4]؛ يقول دي سوسير في هذا السياق: يمكننا أن نتصور علماً موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع؛ مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم السيميولوجيا ويوضح هذا العلم ماهية مقومات العلامات، وماهية القواعد التي تتحكم فيها؛ ولأن هذا العلم لم يوجد بعد، فلا يمكن التكهن بمستقبله؛ الا أن له حق الظهور في الوجود[118] ؛ولما كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية، فان السيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع[5]؛ ولذلك عدّ دي سوسير اللسانيات جزءاً من علم العلامات العام، والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على اللسانيات، وتحتل اللسانيات مكانة محددة بين كتلة الحقائق الانثروبولوجية[6].

نلحظ مما سبق ان دي سوسير قد تصور وجود هذا العلم، ونادى بحقه في الوجود ووصف علاقة هذا العلم الآتي الذي لم يلد بعد، بعلم النفس الذي هو الأصل الذي ينتمي اليه العلم المبشر به، وعلاقته بعلم اللسان الذي سيكون جزءاً منه.

"وتقع على علماء النفس مسؤولية تحديد الموضع الدقيق لعلم العلامات، أما واجب اللغوي فهو البحث عما يجعل من اللغة نظاماً خاصاً متميزاً بين كتلة معطيات علم العلامات"[7]. وافتراض وجود السيميولوجيا تواجهه عقبة معرفية تتجلى في كونها ليست بعد علماً مستقلاً، وليست ذات موضوع خاص متميز؛ ذلك ان القضايا التي من المفترض ان تندرج في السيميولوجيا ما تزال موزعة على عدة علوم، فضلا عن ان السيميولوجيا تشتمل على ظواهر دالة مختلفة التكون ومتفاوتة الوظيفة الرمزية والفعالية التعبيرية ومتعددة الاشكال، وهذا الغموض في وضع سيميولوجيا وفي طبيعة موضوعها، يعود في رأي دي سوسير الى افتقادنا لكل ما يمكنه ان يعرفنا

1- ينظر: المصدر نفسه، 69..
2- ينظر: علم اللغة العام، 34..
3- ينظر: في اللسانيات العامة، 61-62.
4- ينظر: علم اللغة العام، 34.
5- ينظر: الاتجاهات السيميوطيقية، 8..
6- ينظر: علم اللغة العام، 34.
7- المصدر نفسه: 34.

بطبيعة المسألة السيميولوجيا، اي اللغة، لأن طرح هذه المسألة طرحاً مقبولاً تستوجب دراسة اللغة في ذاتها[1]؛ ويعني ذلك في رأي دي سوسير، أن للغة أهمية كبرى في تصنيف الظواهر الدالة وكشف طبيعتها؛ وبما ان اللغة لم تدرس قبل دي سوسير في ذاتها، فلم يكن بمقدور السيميولوجيا ان تتشكل كعلم؛ ولما وضعت اسس نظرية دراسة اللغة في ذاتها مع دي سوسير، فإنه من المفروض الآن ان يوضع مثل هذا العلم العام، وبذلك نستطيع ربط تأخر السيميولوجيا بتأخر تشكل اللسانيات كعلم مستقل[2].

والسيميولوجيا عند دي سوسير تدرس الأنساق القائمة على اعتباطية العلامة، ومن ثم لها الحق في دراسة العلامة الطبيعية كذلك، أي لها موضوعين رئيسين: العلامة الاعتباطية، والعلامة الطبيعية، إلا ان العلامة الطبيعية غير محسوم بعد في وضعه المعرفي، ويبقى على السيميولوجيا مستقبلاً أن يحسم في مسألة اندراجه ضمن موضوعها او عدم اندارجه؛ ولأن الاعتباطية لم تعد مبدأً لسانياً فحسب وانما صارت ايضاً مبدأ سيميولوجيا منظماً للانساق السيميولوجية، فان اللغة بوصفها النسق القائم على الاعتباطية في جوهره، هي نموذج موضوع السيميولوجيا؛ وبذلك صارت السيميولوجيا العلم الذي يقوم بدراسة الأنساق القائمة على اعتباطية العلامة[3]؛ وعلاوة على ذلك فإن السيميولوجيا لكي تحدد استقلالها، ومجالها الأبستمولوجي، وتكوّن مفاهيمها التطبيقية، وتطوراتها النظرية، ومصطلحاتها الإجرائية، ما عليها الا أن تستعير من اللسانيات مبادئها، ومفاهيمها، كاللسان والكلام، والسانكرونية والدايكرونية، كما فعل رولان بارت، الذي قال: بمثل هذه النظرة، ما يترتب عنها صارت السيميولوجيا تابعة للسانيات، بل وفرعاً منها. والمنهج دي سوسير بخصوص التحليل اللساني، وفق هذا الطرح، ان ينسحب على الانساق السيميولوجية، مثل: السانكرونية، والقيمة، والتعارض، والمحورين الخطي والأفقي[4]. وعلاوة على ذلك فمن مميزات العلامة السوسيرية: –

أ– العلامة صورة نفسية مرتبطة باللغة لا بالكلام.

ب– يستند العلامة الى عنصرين اساسيين: الدال والمدلول، مع ابعاد الواقع المادي او المرجعي، لأن اقصاء المرجع يعني ان للسانيات دي سوسير شكلانية، وليست ذات بعد مادي وواقعي كما عند جوليا كريستيفا.

ت– اعتباطية العلامة، مع استثناء اصوات المحكية للطبيعية، وصيغ التعجب والتألم.

ث– يعتبر النموذج اللساني في دراسة الادلة غير اللفظية هو الأمثل والأصل في المقايسة.

ج– ان العلامة السوسيرية محايد ومجرد ومستقل، يقصي الذات والايدويولوجيا[5].

وعلى الرغم من ان دي وسوسير لم يتناول السيميولوجيا الا عرضاً، وبفقرات قليلة جداً، والانتقادات التي وجهت اليه، "فقد اثرى دي سوسير المقاربة السيميوطيقية بكثير من التصورات والمفاهيم والمصطلحات اللسانية ذات الفعالية الكبيرة في الإجراء، وفك مغالق النصوص تشريحاً وإعادة بناء"[6].

وعندما ندرس الحالات التاريخية المتتابعة كالشكلانية الروس وانجازات ديفي شتراوس في الانثروبولوجيا....إلخ. نرى ان كلها تنطلق من خلفيات لسانية سوسيرية من خلال بعض الثنائيات التي تم الاستفادة منها، وعلى رأسها البنيوية. وقد تفطّن العرب القدماء في وقت مبكر للعلامة، وتبلور ذلك على يد علماء الأصول والتفسير واللغة والبلاغة؛ إذ إنهم عرفوا العلامة ومارسوه في حياتهم منذ وقت مبكر، وخير دليل على ذلك قول أبي بكر إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْخِلَافَةِ «فكُلُّكُم ورِمَ أَنْفُهُ» أَي اغْتاظ مِنْ ذَلِكَ، لأَنَّ الْمُغْتَاظَ

1- علم اللغة العام، 35. وينظر: دروس في السيميائيات، 70.
2- ينظر: دروس في السيميائيات، 70..
3- ينظر: المصدر نفسه، 71..
4- ينظر: دروس في السيميائيات، 74. وينظر: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات، 15.
5- ينظر: بناء المعنى السيميائي، 15.
6- المصدر نفسه. وينظر: الاتجاهات السيميوطيقية، 23.

يرِمُ أَنْفُهُ ويَحْمَرّ [1]؛ حتى بلغ الأمر عند العرب أن يجعلوا لكل موقف او حالة نفسية.... الخ علاماتها الخاصة، ومن ذلك ما قاله الشاعر في بيان علامات الحب:

وللحبّ آفات إذا هي صرّحت....تبدّت علامات لها غرر صفر

فباطنه سقم وظاهره جوى............وأوّله ذكر وآخره فكر [2].

وكذلك عرف العرب مصطلح السيمياء بالمعنى اللغوي المقابل للعلامات، ويشهد لذلك قوله تعالى: "ومنه شجر فيه تسيمون"[3]. وقوله: "سيماهم في وجوههم"[4]. و قال المفسرون: السيماء والسيمياء: العلامة. ومنه قول أسيد بن عنقاء الفزاري وهو يمدح عميلة حين قاسمه ماله:

غلام رماه الله بالحسن يافعا... له سيمياء لا تشّق على البصر

كأنّ الثريا علّقت فوق نحره... وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر [5]

واما في مجال الدراسات العلمية الجادة فقد قدم الجاحظ دليلاً باهراً على عبقريته المشهود بها. "وقد سبق فرديناند دي سوسر إلى القول: بأن فقه اللغة يجب أن يكون فرعا من علم أوسع يشتمل على مختلف أنواع الدلالات سماه الجاحظ علم البيان حيث يقول: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»"[6]؛ وكذلك نجد ابن سينا قد تحدث عن العلامة، ومما يذكر ان لابن سينا مخطوطة بعنوان: "كتاب الدر النظيم في احوال علوم التعليم"، ورد فيها فصل تحت عنوان "علم السيمياء" يقول فيه: علم السيمياء يقصد به كيفية تمزيج القوى التي هي جواهر العالم الأرضي ليحدث لها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو ايضاً أنواع فمنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية الآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلاء ومنها ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة، والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة، والثاني من فروع الهندسة[7]؛ وكذلك ابن خلدون فقد خصص فصلاً في مقدمته لعلم أسرار الحروف ويقول عنه: وهو المسمّى لهذا العهد بالسيمياء، نقل وضعه من الطّلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرّف من المتصوّفة، فاستعمل استعمال العامّ في الخاصّ، وحدث هذا العلم في الملّة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوّفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحسّ، وظهور الخوارق على أيديهم والتّصرّفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزّل الوجود عن الواحد وترتيبه؛ وزعموا أنّ الكمال الأسمائيّ مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام؛ والأكوان من لدن الإبداع الأوّل تتنقّل في أطواره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله؛تعدّدت فيه تآليف البونيّ وابن العربيّ وغيرهما ممّن اتّبع آثارهما، ومن فروع السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في المعرفة[8]. وعبد القاهر الجرجاني، بين الميدان الإجرائي للعلامة حين صنّف الخطاب المنجز في الفكر الإنساني إذ يقول: "الكلامُ على ضَرْبين: ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرَضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ: "خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاقِ عن "عمرو" فقلتَ: "عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا

1- ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر، 76/1..
2- العقد الفريد، ابن عبد ربه، 168/2.
3- النحل: 10..
4- الفتح: 29.
5- ينظر: مفردات في غريب القران، الاصفهاني، 438.
6- البيان والتبين: 11/1.
7- ينظر: السيميائية اصولها وقواعدها، 230.
8- ينظر: مقدمة ابن خلدون، 556/1.

تَصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتَضيه موضوعُهُ في اللغَّة، ثُمَّ تَجِدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"، وقد مضتِ الأمثلةُ فيها مشروحة مُستقصاةً. أوَ لا تَرى أنكَ إذا قلْتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْرِ"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ"، أو قلتَ في المرأةِ: "نَؤُومُ الضحى"، فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَكَ الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن نيدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانياً هو غَرَضُكَ"[1] وبالرغم من غموض بعض ما جاء في هذه النصوص، الا انه يكفينا منها أنها دليل ساطع على سبق علماء العربية لدي سوسير بعدة قرون، وتفصيلهم للسيمياء بدقة؛ واخيراً لا بد من القول: ان المساهمة التي قدمها المناطقة والأصوليون والبلاغيون العرب مساهمة مهمة في علم الدلالة انطلاقاً من المفاهيم اليونانية، وقد كانت محصورة ضمن إطار الدلالة اللفظية، وتوصل العرب الى تعميم مجال الدلالة على كل أصناف العلامات، ومن الواضح أنهم اعتمدوا اللفظية نموذجاً أساسياً؛ وتبقى أبحاثهم التي تعين نوعية العلامات المركبة وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية مدخلاً جديداً ذا منفعة قصوى للسيمياء المعاصرة[2].

هذه هي اهم القضايا الأساسية التي أثارها دي سوسير في كتابه "علم اللغة العام"، والتي جعله مدرسة قائمة بذاتها، واباً للسانيات الحديثة، و كانت هذه القضايا بمثابة المرتكزات التي استفاد منها المدارس اللسانية التي تلاها، وتبين مما تقدم أن الأقدمين من علماء العرب استطاعوا أن يهتدوا "الى أدق تفاصيل اللسانيات وهم يدرسون قواعد لغتهم ويضعون قوانينها من خلال العمل اللغوي الجاد الذي قام به فحول علمائهم لخدمة كتاب الله العزيز وقد استطاعوا – بدأبهم على البحث والدرس – ان يقيموا الدعائم الوطيدة لـ(علم اللغة)" [3].

ثانيا/ البنيوية عند اللغويين العرب المحدثين:

يلاحظ المتتبع لحركة الدراسات اللسانية في النصف الثاني من القرن العشرين أن تعامل الباحثين العرب مع الدراسات الأوربية كانت بحماس وانبهار كبيرين، وكانت البنيوية هي الوافد الجديد الذي أغرى المحدثين العرب وأدخلهم في حالة من الانبهار [4]؛ فبدأوا يهتمون بالبنيوية، وظهرت ترجمات عديدة لعدد من الأعمال الغربية التي تناولت البنيوية، فقد ترجم كتاب "جان بياجيه"عن البنيوية"، وترجمت أغلب الكتب النظرية لدرجة أننا نجد أكثر من ترجمة لكتاب واحد، فمثلاً كتاب "رامان سلدن"عن النظريات النقدية الحديثة، له ثلاث ترجمات)في مصر، تونس وفي العراق)[5] وفي منتصف الخمسينات والستينات من القرن العشرين نهض بعض الباحثين العرب المحدثين – خاصة المصريين – بعرض شامل للبنيوية ضمن مشروعهم الهادف إلى التعريف باللسانيات الحديثة وعرض نظرياتها ومقولاتها، بل وخصصوا في دلك كتباً[6] فنحاول هنا أن نقف عند أهم الاسهامات علماء العرب المحدثين، الدين اعتنقوا شظايا البنيوية تنظيراً وممارسة في كتاباتهم.

1- الدكتور صلاح فضل:

يعد كتاب الدكتور صلاح فضل "نظرية البنائية في النقد الأدبي" الصادر في مصر سنة 1978، أوّل كتاب تنظيري للبنيوية، ولعلّه أفضل كتاب وضع بالعربية عن التنظير للنّقد البنيوي آنذاك، لأنّه كتاب علمي جدّا، وضع بلغة نقدية ؛ وقد حاول من خلال كتابه هذا تجاوز الأيديولوجية المتغيرة وذلك من خلال تغيير النظام السياسي في مصر من الاشتراكي إلى الرأس مالي، إذ يرى أنّ الأدب لا علاقة له بالنّقد الأيديولوجي، بحجّة أنّ الأدب لا يخضع لمتغيرات سياسية، فهو في نظره عالم مغاير ومخالف تكمن حمايته في

1- دلائل الاعجاز: 262.
2- علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، عادل فاخوري، 70.
3- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيلي علوي: 132-133.
4- ينظر: تجربة النقد البنيوي عند كمال أبي ديب: 10.
5- ينظر: المنهج البنيوي: جدوره الغربية: 42.
6- ينظر: أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد عباس مرزة: 39.

قوانينه[1] وقد تناول في كتابه أصول البنيوية، ومستويات التحليل البنيوي، وشروط النّقد البنائي ولغة الشعر، تشريح القصة، والنظم السيميولوجية والأدب، ثم ذكر بعض المحاولات التطبيقية للنظرية البنائية في النّقد العربي، وأوّل هذه المحاولات هي محاولة "تازك الملائكة" لدراسة هيكل القصيدة، أمّا المحاولة الثانية فهي محاولة الباحث "لبيب طاهر" في أطروحته للدّكتوراه "الغزل العذري عند العرب"، والمحاولة الثالثة هي محاولة حسيب الواد في البنية القصصية "لرسالة الغفران"[2].

2- الدكتور زكريا إبراهيم:

يعد كتاب الدكتور زكريا إبراهيم "مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية". الصادر في سنة 1978م من بين الكتب التي أناطت اللثام عن مختلف العوالم المعرفية التي تشغلها البنيوية، وقد حاول فيه الدكتور زكريا إبراهيم الإلمام والوقوف على مفهوم البنية، وفائدة المنهج البنيوي نتيجة استخداماته في اللغة والتحليل الفلسفي، وعلاقة البنيوية بالحقول المعرفية الأخرى كالأنثروبولوجيا واللسانيات وعلم النفس[3].

3- الدكتور كمال أبو ديب:

يعد الدكتور كمال أبو ديب من أوائل النقاد العرب المتحمسين لتطبيق البنيوية على الشعر العربي والمعلنين ذلك صراحة، وكان يسعى من خلال تطبيقاته وتحليلاته للقصائد ودراسة الظواهر الفنية إلى تأكيد المستندات النظرية التي جاءت بها البنيوية, رداً على هيمنة الانطباعية واللامنهجية في الدراسات النقدية. ومن أبرز مؤلفاته التي تبادر إلى ذهن كل من يتذكر الدكتور كمال أبي ديب "جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر" الصادر سنة 1979، إد يعد هذا الكتاب أخطر محاولة بنيوية تطبيقية متكاملة تضر بجذورها الشعر العربي حتى الآن[4].وحاول الدكتور كمال أبو ديب أن يؤسّس لمنهج بنيوي عربي الأصل يفوق ما قدّمه العرب، إلاّ أنّه يصّرح مبكرا أنّ تطبيقه للمنهج البنيوي على الشعر الجاهلي استمدّه من ظاهرتين في الدراسة هما: " دراسة "فلاديمير بروب" بشكل الحكاية، والأسس، والمبادئ، قوله أنّه يقدّم منهجا بنيويا يفوق به الغربيين[5].

4- الدكتور عبدالله محمد الغذامي:

للناقد الأدبي والأكاديمي السعودي الدكتور عبدالله الغذامي فضل لا ينكر في رصد المناهج الحديثة – كالبنيوية والتفكيكية– في النقد العربي، وكان من أول كتاب له بعنوان: "الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية" الصادر في سنة 1985 درس فيه خصائص شعر حمزة شحاتة، وحاول في بعض المواضع من كتابه تطبيق ما جاء به دي سوسير في اللسانيات على النصوص العربية، ولا سيما الشعر العربي، وإن دعا في كتابه إلى اتباع المنهج التفكيكي – وقد سماه بالمنهج التشريحي – في دراسة الأدب والثقافة كما نلحظ ذلك بوضوح في كتابه. فقد حاول الدكتور الغذامي في كتابه أن يقوم بالمزج بين البنيوية والسيميولوجيا والتشريحية, مستعيناً على ذلك بالمفهومات العربية الموجودة, أي أنه لم يقتصر في نقده على البنيوية بل استفاد منها[6]

5- الدكتور عبد العزيز حمودة:

ضمن سياق الجهود الرائدة لبعض أعلام الوطن العربي في تقديم البنيوية للقارئ العربي تمثلاً وتحليلاً ونقداً، يجدر التنويه بالدكتور عبدالعزيز حمودة ومؤلفه: "المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك" الصادر سنة 1998، وهو عمل فيه من دقة الطرح والتمكن من الإحاطة بحقيقة البنيوية، ما يجعلنا نقف عنده، ولو بإيجاز خاصة وأن صاحبه قد طرح قضية على درجة من الدقة والأهمية، تتعلق – أساساً – بالبنيوية وسجن اللغة، وذلك بعد أن أسهب في الحديث عن قضية الحداثة في نسختها العربية ونسختها

1- البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي و التحصيل العربي، 191.
2- ينظر: نظرية البنائية: 15..
3- ينظر: رواج البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين: بشير تاوريرت، 271. ينظر: البنيوية (النشأة والمفهوم)، 254..
4- ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي: 8.
5- ينظر: المرايا المحدّبة: 38
6- ينظر: الممارسة النقدية من خلال "الخطيئة والتكفير" للغذامي"، سارة جعدي: 37.

الأصلية[1]ومنذ صدور هذا الكتاب أثار معارك نقدية ملأت صفحات الجرائد والمجلات المختصة حيث حرك الساحة النقدية التي كانت تعرف اتجاهاً نقدياً واحداً، فقد ناقش الدكتور عبدالعزيز حمودة في كتابه هذه الحداثة في المحيط الثقافي العربي وخص بالذكر النموذج الأكثر تمثيلاً للحداثة في الساحة النقدية ألا وهو البنيوية، فأتخذ موقف الرفض لها من باب ما تحمله من خلفيات فلسفية لا تلائم الأرضية العربية التي زرعت فيها وعليه فإن مالها الفشل لا محالة لأن مقدماتها خاطئة فالنتائج ستكون خاطئة بالضرورة[2]. ورأى أن البنيويين – الذين طبقوا هذه النظرية – وإن دعوا إلى تحقيق العلمية في دراساتهم، إلا أنهم لم يحققوا شيئاً من العلمية التي ظلوا ينشدونه عبر مشروعهم الطموح لتحقيق عملية النقد، فقد كانوا يهدفون من البداية إلى إنارة النص، ولكن ذلك ما لم يتحقق، وبدلاً من مقاربة النص وإنارته حجبت اللغة النقدية المراوغة، والتي تلفت النظر إلى نفسها متذرعة بعملية التفسير الأدبي ولم تحقق المعنى[3]. ورأى أن ذلك الفشل يرجع إلى سببين:

السبب الأول، هو تلك المحاولة الصوفية لرؤية العالم من خلال حبة فاصولياء واحدة كما يقول نقاد البنيوية. فقد كانوا يتحركون من النماذج، أو النصوص الفردية في اتجاه النسق الأكبر أو النظام. ثم إنهم بعد ذلك، في مقاربتهم للنصوص، تحركوا من النسق في اتجاه النص الفردي. وقد اكتشفوا في نهاية المطاف، بعد الرفض لكل المدارس السابقة، وبعد دعاوى عملية النقد، أن البديل البنيوي، وهو النموذج اللغوي، فشل في تحقيق الدلالة أو المعنى. لقد انشغلوا، في حقيقة الأمر، بآلية الدلالة ونسوا ماهية الدلالة. انهمكوا في تحديد الأنساق والأنظمة وكيف تعمل، وتجاهلوا ماذا يعني النص.

أما السبب الثاني فهو اكتشافهم، بعد فوات الأوان، أن النموذج اللغوي لا ينطبق بالضرورة على الأنساق أو الأنظمة غير اللغوية، وتحول البنيويون في نهاية الأمر إلى سجناء اللغة[4].

وللوصول إلى بيان عدم صحة تطبيق البنيوية على اللغة العربية، وعدم توفيق النقاد في تطبيقاتهم البنيوية على اللغة العربية، وقف أمام ثلاث تجارب بنيوية تعتبر رائدة في تطبيق المنهج البنيوي على أيدي مطبقيها العرب(دراسة الدكتور كمال أبو ديب لمعلقة امرئ القيس المشهورة، تطبيق حكمت الخطيب لقصيدة حديثة، هي بعنوان "تحت جدارية فائق حسن" لسعدي يوسف، وتحليل هدى وصفي لرواية الشحاذ لنجيب محفوظ،) [5]

الخاتمة:

من خلال ما تقدم من عرض عن المنهج البنيوي بين اللسانيات الغربية والفكر اللغوي العربي توصلت لعدة نتائج، من أهم هده النتائج:

1- لم تنبثق البنيوية في الفكر اللغوي والأدبي وفي الدراسات الإنسانية فجأة، وإنما تعود الرّوافد التاريخية الأولى للبنيوية إلى عدّة مدارس: كمدرسة جنيف والشكلانية الروسية وحلقة براغ والمدرسة الفرنسية.

2- على الرغم من أن دي سوسير يعد رائد البنيوية، إلا أن البنيوية لم تعرف بهذه التسمية، إلا على يد الروس في بداية القرن العشرين, ثم ذاع صيت البنيوية، وصارت منهجاً منتشراً، واشتهرت في فرنسا في الستينات على يد ليفي شتراوس.

3- لم تكن البنيوية خافية على التراث اللغوي العربي, فقد كانت نظرة اللغويين العرب القدماء للغة نظرة معمارية تلاقت مع فكرة سوسير البنيوية، إذ أدركوا حقيقة النظرة البنيوية للغة وإن لم يضعوا ذلك كله في إطار منهجي, كالذي عرضه سوسير.

---

[1]- ينظر: أسس النظرية البنيوية في النقد العربي الحديث، حكيم دهيمي: 232.
[2]- ينظر: نقد الحداثة وما بعد الحداثة عند عبدالعزيز حمودة، غربي أسمهان: 79..
[3]- ينظر: المرايا المحدبة: 7..
[4]- ينظر: المصدر نفسه: 7.
[5]- ينظر: المرايا المحدبة: 15.

4- في منتصف الخمسينات والستينات من القرن العشرين نهض بعض الباحثين العرب المحدثين – خاصة المصريين – بعرض شامل للبنيوية ضمن مشروعهم الهادف إلى التعريف باللسانيات الحديثة وعرض نظرياتها ومقولاتها، بل وخصصوا في دلك كتباً.

5- تبقى البنيوية إحدى المناهج التي حلّت على ساحة النقد بعد العلوم الإنسانية، وانتشرت كالنار في الهشيم في أصقاع الغرب، وحاول أصحابها الرفع من شأنها، وإطالة عمرها. إلا أن اندثرت بعدما كُتب لها الحياة والاستمرار حقبة من الزمن؛ لأنها اتخذت من موت المؤلف واستبداله بالمتلقي شعاراً لها.

6- تبين من مسار البحث بوضوح مدى التقارب بين الفكر اللغوي العربي وبين البنيوية السوسيرية مما يدفعنا الى القول بشيء من الاطمئنان ان التراث اللغوي العربي كان رافدا رئيسا لسوسير في نظريته البنائية ويكيفنا دليلا على ذلك التقارب الكبير بين افكار سوسير وبين الفكر اللغوي العربي ومؤكد ان ان هذا الحد من التقارب ليس من قبيل توارد الخواطر بل المنهج العلمي المنطقي يحتم ان يكون احد الطرفين قد افاد من الاخر وحتما هو المتقدم قد افاد من السابق له عهدا، ويقوي ذلك ان سوسير كان له اطلاع واسع باللغات ومنها السامية التي تشكل العربية احدى لغاتها الرئيسة

قائمة المصادر والمراجع

7- الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة: حليمة أحمد عمايرة، دار وائل للنشروالتوزيع، ط1 (عمان: 2005م).

8- أساسيات في اللغة العربية: زايد مقابلة، مكتبة الفجر، ط1 (د.م: 1988م).

9- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (بيروت: 1957م).

10- البنيوية في الفكر الفلسفي: عمر مهيبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، (الجزائر: 1993).

11- البنيوية: جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، ط4 (بيروت– باريس: 1985م).

12- البنيوية: مؤيد عباس حسن، رند للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (دمشق: 2010م).

13- البنيوية ومابعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا: جون ستروك، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، د.ط (الكويت: 1996م)

14- البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، دار الهلال، د.ط (بيروت: 1423هـ).

15- تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب: هدى صلاح رشيد، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1 (الرباط– الجزائر: 2015م . 1436هـ).

16- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية دراسة في نقد النقد: محمد عزام، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط (دمشق: 2003م).

17- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 (القاهرة: د.ت).

18- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج معاصر-: عبدالله محمد الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 (القاهرة: 1998م).

19- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – مكتبة الخانجي، ط3 (القاهرة: 1992م).

20- الشكلانية الروسية: فيكتور إيرليخ، ترجمة: محمد الولي، المركز الثقافي العربي، ط1(الدار البيضاء: 2000م).

21- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه: أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، مراجعة النص: سعيد الغانمي، كلمة ومركز الثقافي العربي، ط1 (بيروت: 1428هـ– 2007م).

22- علم اللغة العام: فردينان دي سوسور، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، د.ط (بغداد: 1985م).
23- علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: بريجيته بارتشت، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1 (القاهرة: 1425هـ- 2004م).
24- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الإحياء التراث، ط1(بيروت: 2001م).
25- في الميزان الجديد: محمد مندور، مؤسسات ع. بن عبدالله، ط1 (تونس: 1988م).
26- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3 (القاهرة: 1988م).
27- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقى، دار صادر، ط3 (بيروت: 1414هـ).
28- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 (بيروت: 2009م).
29- اللسانيات العامة واللسانيات العربية تعاريف أصوات: عبد العزيز حليلي، منشورات دراسات سال، ط1 (د.م: 1991م).
30- اللسانيات النشأة والتطور: أحمدمومن، ديوانالمطبوعاتالجامعية، ط2 (الجزائر: 2005م).
31- المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية): مصطفى السعدني، دار المعارف، د.ط (مصر: 1980م).
32- مدخل إلى المدارس اللسانية: السعيد شنوقة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1 (القاهرة: 2008م).
33- المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك: عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، ط1 (الكويت: 1998م).
34- مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية ": زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، د.ط (الرباط: 1976).
35- معرفة الآخر: عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط2 (الدار البيضاء: 1996).
36- مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية: عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، د.ط (مصر: 2005).
37- مناهج النقد الأدبي: مفاهيمها وأسسها وروّادها وتطبيقاتها العربية: يوسف وغليسي، دار جسور، ط3(د.م: 2010م).
38- مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته: صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات، ط1 (القاهرة: 2002م).
39- موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: عبد الرزاق الدواي، دار الطليعة، د.ط (بيروت: 1992).
40- النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، د.ط (بيروت: 1979م).
41- نظرية بنائية في النقد الأدبي: صلاح فضل، دار الشروق، ط1 (القاهرة: 1419هـ- 1998م).

الرسائل الجامعية:

1- أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة: حيدر سعيد عباس مرزة، إشراف: حسام سعيد النعيمي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1996م.
2- أسس النظرية البنيوية في النقد العربي الحديث: حكيم دهيمي، إشراف: كمال عجالي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص: نقد معاصر، 1432هـ- 2012م.
3- آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس"، خيرة خرشوش ومنال زناتي، إشراف: محمد مكاكي، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: مناهج النقد المعاصر، 2014- 2015م.

4- آليات التحليل النقدي البنيوي "جدارية محمود درويش أنموذجاً": سارة مغاوري وسامية تقرورت، إشراف: ليلى مهدان، رسالة ماجستير، جامعة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015م.

5- البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي: وردة عبدالعظيم عطا الله قنديل، إشراف: عبد الخالق محمد العف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، تخصص: الأدب والنقد، 2010م.

6- تجربة النقد البنيوي عند كمال أبي ديب من خلال "جدلية الخفاء والتجلي": ميادة بن خالد، إشراف: عبدالملك ضيف، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسلية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: نقد أدبي، 2014م.

7- دراسة خصائص البنيوية بين القدماء والمحدثين من علماء اللغة دراسة مقارنة: عبد الرسول أحمد عايد عليان، إشراف: محمد أحمد علي الشامي، اطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات النحوية واللغوية، تخصص: علم اللغة، 2006م.

8- دور اللسانيات في تعليم اللغة العربية وتطبيقاتها على الطور الأول (الابتدائي): بن قطاية بلقاسم، إشراف: لبوخ بوجملين، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: تعليمية اللغة العربية وتعلمها، الجزائر، 2010م.

9- مفهوم العلامة اللسانية وتطبيقاتها في الدراسات اللسانية الحديثة بالمغرب العربي: سميرة بن مالك، إشراف: عكاشة شايف، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة وآدابها، تخصص: اللسانيات الحديثة، 2001م.

10- الممارسة النقدية من خلال "الخطيئة والتكفير" للغذامي": سارة جعدي، إشراف: عبد الحميد هيمة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: نقد أدبي ومصطلحاته، 2015م.

11- المنهج البنيوي: جذوره الغربية وتأثيره في النقد العربي كمال أبو ديب –أنموذجاً–: إيمان بن طلاع ونورة درناوي، إشراف: عثمانين خالد، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: مناهج النقد المعاصر، 2016م.

12- النسق ودوره في اللسانيات العامة مدونة دي سوسير أنموذجاً، ساحلي كهينة وزكريني ليندة، بوسالمي عطاء الله، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن ميرة . بجاية .، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: علوم اللسان، 2016م.

13- النص الشعري القديم في ضوء المنهج البنيوي، شبوكي شادية، إشراف: بارودي سميرة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي –، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص نقد أدبي حديث ومناهجه، 2015- 2016م.

14- نقد الحداثة وما بعد الحداثة عند "عبد العزيز حمودة": غربي أسمهان، إشراف: عبدالحميد هيمة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص: النقد العربي ومصطلحاته، 2012- 2013م.

الدوريات:

1- أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية: جمعة العربي الفرجاني، المجلة الجامعة، العدد 18، المجلد 1، 2016م.

2- البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية – بحث في النسبة اللغوية والإصلاح النقدي –: يوسف وغليسي، مجلة الدراسات اللغوية، العدد6، 1431هـ- 2010م.

3- البنيوية (النشأة والمفهوم) (عرض ونقد)، محمد بن عبدالله بن صالح بلعفير، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 16، العدد 15، 2017.

4- البنيوية: مفهومها وأهم روافدها، عبدالقادر رحيم، مجلة كلية الآداب واللغات، عدد14+15، جانفي – جوان 2014م
5- الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية: رياض حمود حاتم وأحمد كاظم عماش، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد2، 2016.
6- الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة: لمسن بلبشير، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، العدد 8، الجزائر، 2009م.
7- رواج البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين مفاهيم وإشكاليات: بشير تاوريرت، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 5، الجزائر، 2006م.
8- النحو العربي والبنيوية: اختلافها النظري والمنهجي: عبدالرحمن الحاج صالح، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 85، القسم الثاني، 1420هـ/ 1999م.
9- النص الأدبي في اللسانيات البنيوية، يوسف حامد جابر، مجلة علامات، ج 29، م8، جمادى الأولى 1419هـ- سبتمبر 1998م.

المواقع الإلكترونية:

تقاطعات.. البنيوية.. أرادوها شرابا.. فكانت سرابا..!، وضحاء بنت سعيد آل زعير، المجلة الثقافية، عدد 171، 1427هـ،
www. Al- jazirah. Com